

قصة سفرية

نجيريا

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٢٠٩ محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

العبودي، محمد بن ناصر

قصة سفر في نيجيريا.

٢٠٩ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢٤-٦-٧٨٥-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-١٧-٧٨٥-٩٩٦٠ (مج ١)

١- الرحلات ٢- نيجيريا - وصف ورحلات

أ- العنوان

١٥/٠٦٣٩

ديوي ٩١٠،٤

رقم الإيداع: ١٥/٠٦٣٩

ردمك: ٢٤-٦-٧٨٥-٩٩٦٠ (المجموعة)

٣-١٧-٧٨٥-٩٩٦٠ (مج ١)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي طبقت دعوته الأرض طولاً وعرضاً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الهادين المهديين ومن سار على نهجهم في الدعوة إلى الحق إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن نيجيريا أكثر الدول الإفريقية سكاناً، ولذلك يعتبرها بعضهم أثقلها ميزاناً، وهي إلى ذلك تضم أكبر تجمع للمسلمين في دولة واحدة من دول إفريقية الفتية.

وقد زرتها ضمن جولة شملت الدول الإفريقية الناطقة بالانكليزية في غرب القارة الإفريقية وهي غامبيا وسيراليون وليبيريا وغانا.

وكان القصد من تلك الزيارة الإطلاع على أثر المساعدات المالية والثقافية التي كانت قد قدمت من المملكة العربية السعودية إلى تلك الأقطار من أجل النظر في زيادة ما يحتاج منها إلى زيادة وتصحيح ما قد ينبغي له التصحيح.

ويتضمن ذلك الإطلاع على المشروعات الإسلامية الجديدة التي تحتاج إلى مساعدة في تلك المنطقة، وأن يشمل العمل بذلك مراجعة عامة للموضوع كله.

وقد كتبت كتابين عن تلك الزيارة لدول غرب إفريقية الخمس المشار إليها أحدهما بعنوان:

«شهر في غرب إفريقيا» ... وقد طبع قبل سنوات.

الثاني هو: «قصة سفر في نيجيريا» هذا الذي تأخرت طباعته، ربما بسبب خشيتي من ألا يعجب بعض الإخوة والأصدقاء النيجيريين بما تحكيه تلك القصة عن السفر في بلادهم، مع أنني لم أذكر إلا ما حدث بالفعل، وهو ما شهد عندي كثير من الذين وفدوا إلى نيجيريا بأنه أو نظيراً له حدث لهم.

ولذلك ساد الاعتقاد بأن الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في نيجيريا تعامل الوافدين إليها على قدم المساواة، سواء أكانوا إفريقيين أو آسيويين، أو حتى أوروبيين.

وعلى أية حال فإن القصد الأهم من ذلك في كتابة الكتاب ومن ثم طباعته هو إطلاع القراء الكرام، على حالة الإسلام والمسلمين في هذه الدولة الإفريقية الكبيرة: «نيجيريا» كما رآها أخ لهم مسلم ذهب إلى نيجيريا لهذا الغرض، إلى جانب الحالة التي عليها الإدارة كما رواها لهم طبقاً لما وقعت له.

وذلك جرياً على عادة له قديمة نشر بسببها كتباً في الرحلات وبيان أحوال المسلمين عديدة.

والله من وراء القصد.

مكة المكرمة

المؤلف

محمد بن ناصر العبود

نيجيريا

تقع نيجيريا في غرب القارة الإفريقية بين خطي عرض ٤ - ١٤ شمال خط الاستواء، ويحدها من الشرق دولة الكاميرون ومن الغرب دولة بنين الشعبية، ومن الشمال النيجر وتشاد، ومن الجنوب المحيط الأطلسي (خليج غينيا).

وتبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣٧٦٨ كم^٢، ويقدر تعداد سكانها بـ ١٢٤١٧.٣٩٩ نسمة حسب تقديرات ١٩٨٨م ونسبة ٧٥٪ من السكان مسلمون والباقي مابين مسيحي ووثني.

وتعتبر نيجيريا أكبر دولة في إفريقيا عموماً من حيث عدد السكان وكانت مستعمرة انجليزية منذ سنة ١٨٦٢م واستقلت سنة ١٩٦٠م.

وعاصمة البلاد هي لاجوس الواقعة على جزيرة في المحيط الأطلسي، والعاصمة الجديدة الفيدرالية التي تقرر نقل إدارة البلاد إليها هي ابوجا، وتوجد في وسط البلاد وكانت جزءاً من ولاية النيجر، وقد بدأت بعض الوزارات تنتقل إليها كالدخلية وغيرها من الوزارات والإدارات المهمة.

وتتكون نيجيريا بالإضافة إلى العاصمة الجديدة من إحدى وعشرين ولاية هي:

مسلسل	الولاية	العاصمة	عدد السكان	المساحة
١	صوكتو	صوكتو	٩٩٤,٤١٠٠ نسمة	١٠٢٥٣٥ كم ^٢
٢	كانو	كانو	١٢,٣٥١,١٠٠ »	٤٣٢٨٥ »
٣	كاتسينا	كاتسينا	٥,٣٨٩,٩٥٠ »	٢٤١٩٢ »
٤	بوش	بوش	٥,٣٢٦,٨٠٠ »	٦٤٦٠٥ »
٥	بورنو	مايدوكري	٦,٥٦٧,٢٠٠ »	١١٦٤٠٠ »
٦	غونغولا	يولا	٥,٧٠٨,٢٠٠ »	٩١٣٩٠ »
٧	بلاتو	جوس	٤,٣٨٥,١٠٠ »	٨٥٠٣٠ »
٨	كادونا	كادونا	٣,٦٨٩,٨٥٠ »	٤٦٠٥٣ »
٩	النيجر	الينا	٢,٢١٤,٧٠٠ »	٦٥٠٣٧ »
١٠	بنوي	ماكوذي	٥,٣١٧,٥٠٠ »	٤٥١٧٤ »
١١	أنمبرا	انقو	٧,٨٧٩,٩٠٠ »	١٧٦٧٥ »
١٢	إيمو	اويري	٨,٠٤٦,٥٠٠ »	١١٨٥٠ »
١٣	كروس ريفاس	كلبار	٢,٥٠٥,٧٦٦ »	٢٠١٥٦٠ »
١٤	إكواء اييو	اويو	٥,٠٧٧,٥٤٠ »	٧٠٨١ »
١٥	ريفاس	بوتاكويت	٣,٧٦٨,١٠٠ »	٢١٨٥٠ »
١٦	بندل	بنين	٥,٣٩١,٧٠٠ »	٣٥٥٠٠ »
١٧	أوندو	اكوري	٥,٩٨٠,٧٠٠ »	٢٠٩٥٩ »
١٨	كوارا	الوري	٣,٦٨٥,١٠٠ »	٦٦٨٦٩ »
١٩	أويو	أبادن	١١,٤١٢,٣٠٠ »	٣٧٧٠٥ »
٢٠	أوقون	ابكوتا	٣,٣٩٧,٩٠٠ »	١٦٧٦٢ »
٢١	لاكوس	اكيجا	٤,٥٦٩,٤٠٠ »	٣٣٤٥ »
٢٢	أبوجا	أبوجا	٥٢٣,٩٠٠ »	٧٣١٥ »
المجموع				
١٢٤,١٧٠,٣٩٩ نسمة ٩٢٣٧٦٨ كم ^٢				

تسميتها

اسمها مأخوذ من اسم النيجر الذي سمي به ذلك النهر العظيم الذي كان يسمى عند أسلافنا العرب بالنيل، وبعضهم كان يسميه (نيل السودان) ويعتقد أنه متصل بنهر نيل مصر بالفعل، وقد استمر هذا الاعتقاد إلى زمن ابن بطوطة إذ قرره في رحلته حينما ذكر أنه يمتد من مالي إلى دنقلة ثم صعيد مصر، وإن كان يظهر من تسميته عند بعضهم أن المراد بكلمة (النيل) النهر الكبير تشبيهاً له بنيل مصر ولذلك سمي ابن سعيد المغربي نهر السنغال (نيل غانه) وقال: إنه شقيق نيل السودان يريد بذلك هذا النهر الذي أصبح يسمى الآن (نهر النيجر).

أما اسم هذا النهر العظيم الذي هو ثاني أربعة أنهار إفريقية كبيرة وهي النيل والكنغو ونهر النيجر هذا ونهر السنغال. (بالنيجر) فهي تسمية أوروبية قديمة مأخوذة أيضاً من اسم (نيجرو) الذي معناه زنجي، أو الرجل الأسود القصير.

وهي تسمية كما نرى تتضمن تعبيراً بالسواد، وقد أصبحت بعد ذلك مصطلحاً على كل أسود البشرة. عند أهل البلدان الغربية أيًا كان موطنه.

وقد تابع الكتاب المحدثون من العرب كُتَّاب البلدان الغربية على هذا المصطلح فأصبحوا يسمون أسود البشرة بالزنجي.

على حين أن كلمة زنجي في الاصطلاح العربي القديم ليست كذلك وإنما تدل على الواحد من الزوج أو الزوج، وهم أمة أو جيل من ذوي البشرة السوداء يسكنون في شرق إفريقية والجزر التي في البحر

الواقع إلى الشرق منها ولذلك سموها تلك السواحل (بر الزنج)، وهي تسمية شائعة في كتب الثقافة العربية القديمة لاحتجاج إلى شواهد.

وقد بقي منها اسم يدل عليها في تلك الجزيرة الواقعة تجاه الساحل الشرقي لإفريقية أو بر الزنج القديم، وهي جزيرة (زنجبار) التي أصلها (بر الزنج) فحرفت في اللغة السواحلية إلى هذا اللفظ.

ولم يكن العرب الأقدمون يسمون ذوي البشرة السوداء من غير أولئك الأقوام بالزنج، بل كانوا يسمونهم أسماء مختلفة تتفق مع كونهم أمماً مختلفة مثل الحبشة والنوبة والسودان والتكرور والكانم.

وفيما يختص بهذه البلاد نيجيريا كان العرب يسمون أهلها من سكان أقاليمها الشمالية الذين كانت لهم صلات كثيرة معهم في الأغلب الأعم بالسودان. ثم أخذ الناس في العصور القديمة يسمونهم التكرور والتكارنة.

وهذا يصدق على أهالي شمالي نيجيريا من الحوس (الهوساويين) والفلانين والبرنو وما كان غرباً من ذلك وجنوباً غربياً منه.

ولكن بعض الكتّاب المحدثين من العرب المقلدين سموهم الزنوج كما صنع أحدهم حينما عنون كتابه (في بلاد الزنوج) وهو يتكلم في كتابه على أهل نيجيريا.

وقد أصبحت هذه التسمية (نيجيريا) مستعملة بل معترفاً بها من أهل البلاد، فأصبح اسم النهر النيجر ليس له اسم مستعمل غيره وأصبح اسم هذه الجمهورية نيجيريا، ومعناها الأمة التي تعيش على ضفاف النيجر أو حول النيجر.

ولم يشأ أهلها أن يغيروا هذه التسمية الإستعمارية لا لأنهم راضون عن معناها، وإنما لأن بلادهم تضم أمماً عدة. أو باللفظ الحديث قوميات عديدة لها لغات مختلفة، ولم تكن متحدة في الماضي مثل هذا الاتحاد والبحث في تغيير التسمية قد يفتح عليهم باب تنافس القوميات على التسمية، ومن الصعب عليهم أن يجدوا للبلاد اسماً يتفق الجميع عليه، لذلك تركوا البحث في التسمية كما تركها إخوان لهم في التسمية، وهم أهل جمهورية النيجر، إذ بحث هؤلاء فعلياً عن اسم مناسب لبلادهم غير النيجر الذي هو كما قلت مأخوذ من اسم النهر الذي أطلقه عليه الغربيون النيجر ثم هو مشتبه، أو قد يشتبه باسم نيجيريا هذه الكبيرة.

وقد أخبرني صديقنا الشيخ عمر جالو مستشار رئيس جمهورية النيجر، وسفيرها السابق في المملكة العربية السعودية، وهو عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. أن أهل النيجر أرادوا تغيير اسم البلاد، وكان هو من المعنيين باختيار الاسم المناسب فاستعرضوا أسماء عديدة وصل عددها العشرات، ولكنها كلها كانت تلقى المعارضات من بعض الفئات. لذلك فضلوا أن يتركوها على اسمها هذا حذراً من الدخول في متاهات المشكلات.

إن تسمية (نهر النيجر) بما معناه نهر الزنج هي قديمة عند الأوروبيين وردت فيما نقل إلينا عن تاريخ (هيروديت) المكنى بأبي التاريخ، وأما تسمية هذه البلاد التي حوله نيجيريا فإنها محدثة بالنسبة إلى قدم تسمية النهر، يقال: إن أول من سماهم بذلك هم الأسبان وتبعهم البرتغاليون، فسائر الإفرنج.

وأما عند أسلافنا من العرب فإنها غير موجودة، وإنما كانوا يسمون النهر (نيل السودان)، وأغلبهم أسموه بذلك على اعتبار أنه نهر عظيم كنيل مصر وليس لكونه هو نيل مصر.

ولذلك يذكرون (نيلا) آخر في المنطقة يسمونه (نيل غانة)، وهو الذي يسمى الآن بنهر السنغال كما قال ابن سعيد المغربي: نيل غانة شقيق (نيل السودان) ويصب في البحر المحيط الأعظم.

وهذه صفة (نهر السنغال) لأن غانة كانت مقامة على ضفتيه. هكذا ذكرها عدد من المؤرخين العرب.

ومراده هنا بنيل السودان (نهر النيجر) فهو شقيق نهر السنغال من كونهما كليهما ينبعان من هضبة غينيا المسلمة، ولا يبعد مجرى أحدهما عن الآخر كثيراً في الأعلى.

ويقول ابن خلدون في مقدمة تاريخه:

أما الجزء الأول من هذا الإقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل القمر، ويسمى (نيل السودان) ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه، عند جزيرة أولئك، وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور و(غانة) وكلها لهذا العهد تابعة لمملكة مالي من أمم السودان، وإلى بلادهم يسافر تجار المغرب الأقصى.

فهذا يدل على ما قلناه من أن موقع عاصمة (غانة) القديمة إنما هو على نهر السنغال الذي كان يسمى (نيل غانة) عند أسلافنا العرب، وإنما اختلط الاسم على ابن خلدون أو من نقل تاريخه. فظن أن (نيل غانة) هو نيل السودان، بجامع التسمية والقرب في الموقع بين

النهرين، وإنما يدل قوله: إنه يذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه، على أنه يقصد (نيل غانة) الذي هو (نهر السنغال) في الوقت الحاضر.

كان نيجيريا

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري من علماء نيجيريا ومؤلفيها: تتعدد قبائل نيجيريا إلى نحو مائتي قبيلة يتكلمون بمختلف اللغات واللهجات ويختلفون فيما بينهم في الهياكل والعادات.

ولم تتحد هذه القبائل تحت حكومة واحدة قبل الاحتلال الأوروبي ولم تنصهر هذه البلاد في بوتقة هذا الاسم المعروف به اليوم قبل سنة ١٩١٤م، وإنما كان العرب يطلقون على هذه النواحي كلها اسم السودان الغربي أو بلاد التكرور.

أصل السكان

حاول المؤرخون عبثاً أن يعرفوا السكان الأولين لهذه البلاد قبل الزنوج. الذين اختلف المؤرخون في موطنهم الأصلي وفي تاريخ هجرتهم إلى هذه البلاد، ولكن الذي عرف هو هجرات الساميين والحاميين التي تنابت من آسيا إلى إفريقيا، ومن شمال إفريقيا إلى غربها منذ آلاف السنين، والتي حصلت لأسباب مختلفة. منها السعي وراء العيش، ومنها الفرار من هجمات العدو إلى حيث الأمن والسلام ومنها ومنها

وكان المهاجرون الجدد يهاجمون الأولين، ويجلونهم من أماكنهم ليحتلوها بدورهم فيفر أولئك إلى الغابات والسواحل حيث يجدون

التربة خصبة ويأمنون على أنفسهم من غارات المستعمرين المهاجمين.

وانحدرت قبائل نيجيريا الحاضرة من أجناس مختلفة. بعضهم من الذين استعمروا شمال إفريقيا وطرفاً من غربها كالفينيقيين والقرطاجيين والروم والعرب والبربر.

وبعضهم من المصريين والأحباش والنوبيين والبنطوس، ومن هذه الأمم نشأت قبائل نيجيريا المختلفة وتزاوجت مع بعضها واختلطت حتى صعب على المؤرخين أرجاعها إلى أصولها الأولى، إلا بشيء من آثار اللغات والعادات والتقاليد، وذلك لعدم انتشار الكتابة أو انمحاء مخلفاتهم من توالي الحروب ومن كثرة التنقلات ومرور الأجيال المتعاقبة.

وقد ترك بعض العلماء المسلمين نتفاً من الكتب العربية التي أصبحت مرجعاً للتاريخ القديم للإقليم الشمالي، ولكنها غير عميقة البحث ولا بعيدة المدى.

وليس للإقليم الغربي تاريخ مدون إلا ما جاء عرضاً في أثناء تاريخ الشمال ولا نصيب لكل ذلك من التمهيص والغزيلة الفلسفية.

أما الإقليم الشرقي فكل ما صار له من التاريخ فمن بعد الاحتلال البريطاني. حيث كتب عنه الإفرنج ضمن تاريخ هذه البلاد، وأخبار ملوكها ورجالها الحديثة، فصارت كتبهم مرجعاً لتاريخ البلاد العام اهـ.

والبرنو وهم اليوم في شرقي شمال نيجيريا مجاورين للهوسا، ولهم ولاية باسمهم (برنو) عاصمتهم مدينة (مدنغري).

وكانت لهم دولة معروفة عند المؤرخين العرب. بل قيل أنهم في وقت من الأوقات شمل سلطانهم جزءاً كبيراً من بلاد الحوس (الهوسا).

وقد توسعت شرقاً إلى أماكن واسعة في تشاد.

وحتى عندما زالت دولتهم وذهب عزها لم يسقط اسمهم فكان لهم رواق باسمهم في الأزهر اسمه الرواق البرنوي وكانوا معروفين في مكة المكرمة والمدينة باسم البرنو ولا يزالون كذلك.

الإيبو:

لم يكن لهم تاريخ مذكور ولا ماضٍ معروف في كتب الثقافة العربية، وإنما كانوا بمثابة القبائل البدائية، مثلهم في ذلك مثل أهالي جنوب السودان الذين وجدهم الإنكليز بدون ثقافة، ولا دين فصبغهم بأفكارهم وشجعوهم على الانعزال الفكري عن جيرانهم المسلمين، وقد أقبلوا على الثقافة الغربية، وتعلموا في مدارس المبشرين المسيحيين فقربهم هؤلاء حتى كانت نسبة المتعلمين منهم تعليماً عسرياً عند الاستقلال أعلى منها في أية قبيلة أخرى في نيجيريا.

فتسلموا لهذا السبب نسبة أكبر من المناصب العليا في الجيش والادارة، وظنوا أنهم قادرون بذلك على السيطرة على نيجيريا كلها أو على الأقل الانفصال عنها والاستقلال ببلادهم.

وكانت قبائل إيبو جماعات فطرية إلى عهد غير بعيد وإنما استيقظت منذ قرن تقريباً.

ومن طباعها سرعة الغضب والاستبسال والتمرد وحب الاستقلال وكانت قبائل متفرقة. لاتجمعها أية رابطة، ولاتتكون القرية إلا من عائلة واحدة لاتخضع لرئيس ولا لأمير ولا لسلطان.

لهذا لم يكونوا يجيدون شؤون الحكم كالهوسا واليوربا قبل الانجليز وقد انتظموا الآن في عداد الأمم المتمدنة بفضل نبوغ بعض الأفراد منهم في الثقافة والسياسة كالدكتور «أنمدي أزيكوي» الذي لعب دوراً هاماً في ميدان السياسة حتى وصل إلى منصب الحاكم العام.

اللغة

في نيجيريا عدة لغات أكثرها شيوعاً أو على وجه أدق أكثر اللغات أصالة بالنسبة إلى عدد المتكلمين هي لغة الحوس (الهوسا) وهي كثيرة الأخذ من العربية فهي في غرب إفريقية تشبه من بعض الوجوه اللغة السواحلية في شرقي القارة وإن كان كثير من كلماتها قد أصابها التحريف. حتى بعد شكلها عن النطق العربي الفصيح، فأصبح لا يستطيع رده إلى ذلك إلا عالم متمعن باللغتين العربية والهوساوية.

وهناك اللغة الفلانية وكانت لغة الحكم والحكام في شمال نيجيريا أبان حكم الشيخ عثمان دان فودي غير أنها الآن أخذ يقل استعمالها في المدن والحوضر بسبب قوة اللغة الهوساوية وكثرة المتكلمين بها، حتى أصبح بعض الفلانيين أنفسهم من سكان المدن يهجرونها ويستعملون الهوساوية، وأصبح أبناءهم لا يفهمونها.

ولكن اللغة الفلانية لاتزال حية مستعملة في البوادي والقرى في نيجيريا الشمالية.

وهناك لغة اليوروبا وهي منتشرة في غرب نيجيريا لأنها لغة قبيلة (يوروبا) التي تسكن هناك.

إلى جانب لغات أخرى معروفة أيضاً: كلغة الكانوري، ولغة نوفي.
قال الشيخ آدم عبدالله الألوري:

في نيجيريا عدة لغات تتكلم بها كل قبيلة، وأهمها لغة (هوسا) التي امتازت على سائر اللغات بغرب إفريقيا لخفتها وسهولة التعبير بها وانضباطها بقواعد ثابتة كالعربية.

ويبلغ عدد من يتكلم بها كاللغة الأصلية عشرة ملايين عدا من يتكلم بها كلغة ثانوية من سكان الإقليم الشمالي كالفلانيين والبرناوين والنوفاوين وغيرهم.

وانتشرت لغة هوسا في غرب إفريقيا بسبب انتشار قبائلها للتجارة والسياحة، وتكوينهم جاليات كبرى في كل قطر، وفي كل مدينة هامة. ويقول شيخنا المرحوم آدم الكنوى أن أول من تكلم بها رجل عربي اسمه هوذه ونسبت إليه وقد هاجر إلى هذه البلاد واختلط بأهلها وتولدت من لسانه هذه اللغة المنسوبة إليه التي صارت لغة رسمية في الإقليم الشمالي بعدة قرون قبل الاستعمار.

والظاهر أن لكل قبيلة لغتها الخاصة قبل استيلاء لغة هوسا على جميعها، ولقد أخذت الهوسوية من قواعد النحو العربي الضمائر المؤنثة والمذكورة وجموع التكسير وضمائر المتكلم والغائب والمخاطب كما أخذت التعداد من العشرين إلى التسعين.

وفي الهوسوية كمية كبيرة من لغات الأجناس المتهوسة من الزنج
والبربر والنوبة كما أنها اقتبست من اللغة الانجليزية أسماء
المخترعات الحديثة والمصطلحات السياسية.

ثم لغة اييو التي يتكلم بها من يبلغون ثمانية ملايين، وإن كان يوجد
في قبائلها من يختلف لهجاتهم فشأنها في ذلك شأن غيرها من اللغات.
أما لغة يوربا فهي التي تحتل الدرجة الثالثة بين لغات نيجيريا كثرة
وانتشاراً. إذ يبلغ المتكلمون بها في الإقليم الغربي نحو خمسة ملايين
سوى المتوزعين منهم في الإقليم الشمالي وبلاد الداومي وتوغو
وغانه وساحل العاج، وهم لا يقلون عن ثلاثة ملايين في جميع تلك
الأقطار.

وقد تفرعت اليوربوية من العربية كما تحمل كمية كبيرة من اللغة
المصرية القديمة، وقد قرر ذلك الدكتور لوكاس في أديان يوربا، ويعسر
استقصاء الكلمات العربية التي تنازلت إلى اليوربوية إذ منها ما
اتحدت لفظاً ومعنى، ولم يسقط منها إلا حرف أو حرفان، ومنها
ما تحرف يسيراً ومنها ما تبدل بحرف آخر.

ولقد راعينا أن أكثر كلماتها ثلاثية كما راعينا في التحريف والتبديل
تقارب الحرفين كإبدال الجيم ياء وبالعكس في نحو كلمة «اوجو»
بمعنى اليوم وفي كلمة «إيجو» بمعنى الحية وفي كلمة جناً بمعنى
ينع.

ومن التحريف أيضاً ابدال لام التعريف واوا في نحو اوجو من اليوم
وفي اومي من الماء وفي اودن من العيد أو ابدالها ياء في ايشو من
الشيطان وايسو من الثمر.

وقد أخذت اليوربوية قليلاً من الهوسوية بسبب احتكاك بعضهم ببعض عن طريق التجارة وغيرها. كما أخذت من الانجليزية قسطاً للحاجات العصرية.

ومما حذف في وسط الكلمة حرف ومما سقطت منه حروف:

اليوربوية	العربية
أى	الدنيا
أورن	الكرى
أورو	الامر
أيسن	الخي
أودا	أوجد
لوما	لزم
عما	العلم
إيتن	التاريخ
أيتو	الترتيب

ونذكر هنا على سبيل المثال ما اشتقت من العربية منها وهي
كالآتي:

العربية	الهوسوية	العريية	الهوسوية	العريية	الهوسوية
اليوم	يوو	المشاورة	شاورة	العافية	لافييا
الأب	أويا	الابرة	الوره	الصحبة	سابا
الله	اللا	الوقت	لوقتي	العدد	عددي
النبي	النبي	القبر	كبرى	النقل	نقلي
الصدقة	صدقا	المقص	المفاجي	البيان	بياني
الصلاة	صلاً	الكحل	كولي	المهاجر	الماجري
الصوم	أزى	مقالة	مغنا	الموت	موتوا
القراءة	قراتو	الدابة	دبه		
الامر	الامري	العذر	حنذري		
الذنب	ذنوي	الليمون	لليمو		
العيب	لايفي	الصايون	صابلو		
الاخبار	لاباري	القدر	القدري		
الحساب	لفسافي	الطاقة	تاغيا		
التدبير	دباره	الدنيا	دونيا		
الريح	رييا	الآخرة	لاخره		
الحق	الاکي	كرامة	غرما		
اللحم	ناما	العقل	هنكلي		
البصل	البصا	اللسان	هلثن		
المرأة	ماتا	البنقية	بندغا		
خسارة	أسارا	الاعارة	أرو		
أين	إنّا	الفضاء	فيلي		
بل	برى	بعد	بايا		

أمثلة ما اتحدت كلماته ومعنياته إلا بتحريف يسير:

العربية	اليوروبية	العربية	اليوروبية	العربية	اليوروبية
يعرب	يوربا	الهبوب	هيفوف	الخيبة	أوفو
الله	الوهن	الصبر	صورو	العورة	أره
الوجه	ايوجو	البعل	بابي	العيب	أييو
الأصيل	أسالي	السر	أيسري	العيب	أيبي
السهل	إسلى	الحي	آلايى	القلة	كيري
العيد	اودن	الحنان	ألانو	الخط	هنطو
القرن	أوغورن	العافية	الافيا	اعني	أنى
التالي	إيتلى	عيال	عياي	يرى	يورى
العز	إيي	حكاية	أكوشي	عسر	ايسورو
العقل	لعكي	العر	إيرو	الأخرى	أورن
الحد	أودي	اللص	اولوشا	الربيع	أيري
القوة	أوغو	الحية	ايجو	الغول	أيفن
الدعاء	أوا	الحجرة	اياره	الريح الكريه	أورن
الاجير	ألارو	علاوة	ايلي	لدى	لودو
الهراء	إرو	اللتى	ايتي	الضرة	إنيره
الوالي	اولوا	آلة	أيلو	أي شيء	أيشي
الدجاج	إديي	الحر	اور	البنة	بتايتا
الابرة	أبيري	الهيجا	اجا	حصل	أوشيلي
الأحمق	أومفو	القمقم	إكوكو	جرى	سرى
الكره	ايكو	الجائي	أليجو	فتيلة	فتيلا
		الخير	أورى	صفر	سوفي

وفيما حذف منها الحرف الأخير ومما حذف منها الحرفان الأخيران
والمعنى واحد:

اليوروبية	العربية	اليوروبية	العربية	اليوروبية	العربية
ايرن	الرحلة	اللو	اللغز	اشو	الثوب
أيسو	الثمر	أوجو	الجبين	أوشا	الأوثان
إيدي	الدبر	أودو	الأودية	آلا	الاحلام
اوكي	القمة	أيشن	الذباب	أللى	الليل
اوسي	الشمال	إيدن	الديدان	الرع	الرعد
أيشو	الشيطان	أووو	الودع	أرو	الأعرج
الشأ	الشكس	ايبو	البحر	إلنا	النار
ايتن	التاريخ	أوكن	القلب	أومى	الماء
اورن	الرقبة	ترا	الاطراس	ايشى	السعي
ايروكن	الرقبة	اوسن	الظهر	آوو	الأواني
أيسو	السحب	اوغن	الغزو	فرو	الفروج
ايدي	الدليل	آسو	الذوابة	أورى	الرأس
اوشو	الزخرف	أوشو	الشهر	أدي	التاج
الشأ	الصقر	ألشيو	هلال شهر	سورو	الذروة
		إكودو	الغدير	إباكا	البغل
				ايشن	الحصان
				إيشا	الخاصة
				ألو	الحلة
				لع	لعك
				آغن	العقم

تواريخ هامة متعلقة بنيجيريا:

فيما يلي بعض التواريخ المتعلقة بنيجيريا لعناوين وقائع وأحداث تستحق التسجيل:

١٠٠٠م قامت ببلاد برنو مملكة إسلامية زاهية من أسرة سيف.

١٠٦٧م كتب البكر الاسباني عن أمم ودول إفريقيا الغربية ومن بينها الدولة الكانمية.

١٤٠٠م زار ابن بطوطة إفريقيا الغربية ودخل مدينة اكزز ومالي.

١٤٠٠م هاجمت قبائل نوفي العاصمة اليوروبية في مدينة اويولي.

١٤٧٣م زار الإمام السيوطي مدينتي كنو وكشنة وأكزز.

١٤٧٦م تولى الإمام المغيلي القضاء بمدينة كنو في عهد السلطان محمد رنفا.

١٤٨٥م زار البرتغاليون مدينة بنى وعقدوا مع ملوكها معاهدة ودية.

١٥١٣م استولى محمد اسكيا على بلاد هوسا.

١٥٥٢م رست أول باخرة انجليزية في بنى بقيادة كابتن ويندهام ريشارد.

١٧٩٦م كان اكتشاف مانغو بارك البحار البريطاني لنهر النيجر.

١٨٠٢م بدأ جهاد بن فودى مع ملوك هوسا المستبدين وبداية الامبراطورية الفلانية.

١٨٠٥م موت مانغو بارك في مدينة بوسا قبل انجاز اكتشافه.

١٨١٦م موت الشيخ عثمان بن فودي في صوكوتو بعد توطيد دولته.
١٨٤٩م تعيين أول قنصل بريطاني في نيجيريا وهو المستر بيكرافت.
١٨٥١م القاء القنابل على لاغوس بناء على رفض سلطان كوسوكو
المعاهدة البريطانية ثم فراره إلى بداغري ورجوع أكنتوي
إلى العرش.

١٨٦١م وقعت لاغوس تحت النفوذ البريطاني بموجب معاهدة دو
سومو ملك لاغوس.

١٨٦٩م ابتدأت أعمال التجارة لشركة إفريقية المتحدة.

١٨٩١م تأسس البنك الإفريقي البريطاني في لاغوس.

١٨٩٦م تأسست المواصلات الحديدية بين لاغوس وأبيكوتا.

١٨٩٧م ثارت جيوش الورن على الجيش البريطاني أيام الأمير
سليمان.

١٩٠٠م ابتدأت حماية نيجيريا الشمالية وفتحت الخط الحديدي بين
لاغوس وإبادن.

١٩٠٦م أصبح الإقليم الجنوبي والشمالي لبريطانية وصارت لاغوس
مستعمرة.

١٩١٣م قضى الجيش البريطاني على حكومة ابيكوتا الأهلية التي
ثارت لمنع جباية الضرائب.

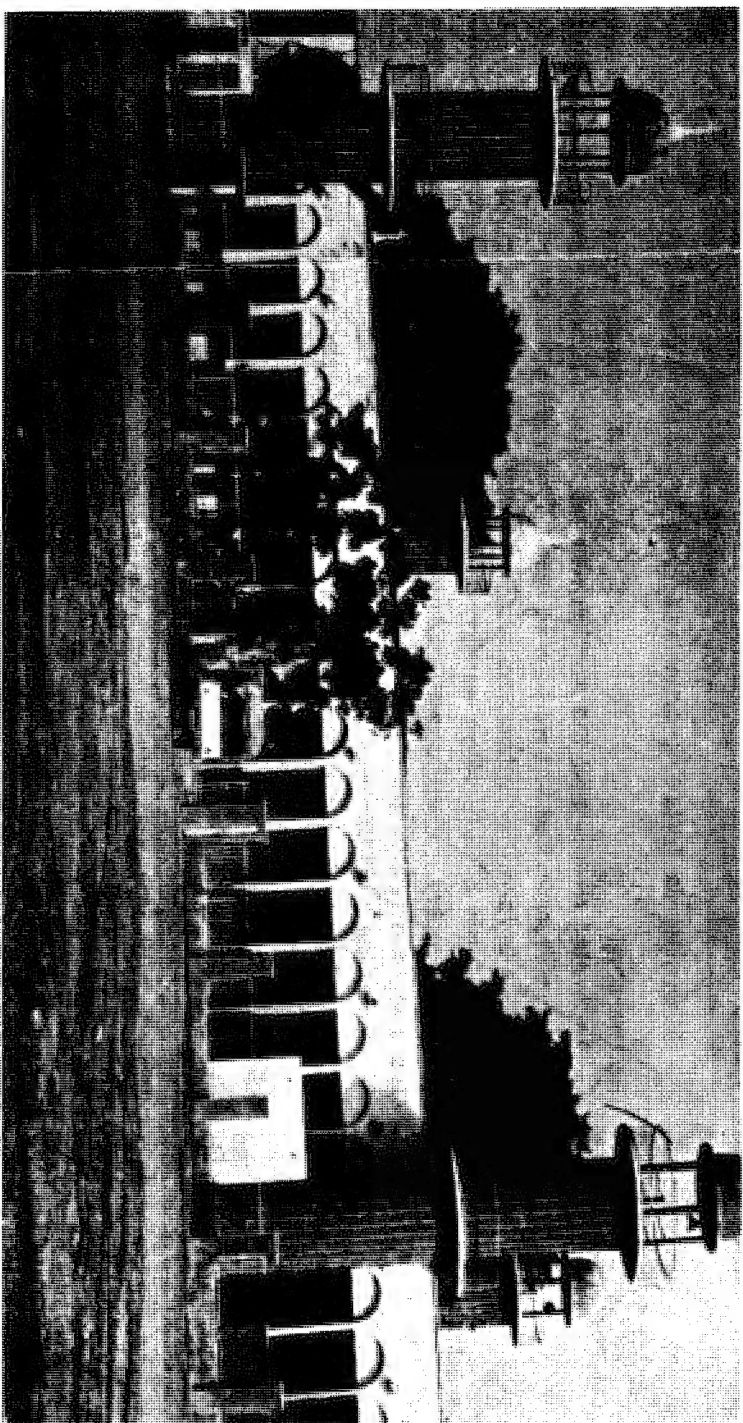
١٩١٤م استكملت القوة البريطانية استيلاءها على نيجيريا بأسرها.

١٩٢٠م تأسيس مجلس الشورى الحكومي.

١٩٤٩م وضع دستور نيجيريا السياسي.

١٩٥٦م حصول الإقليم الشمالي على الحكم الذاتي.

١٩٦٠م أعلن الاستقلال التام لنيجيريا الفيدرالية.



أحد المساجد في نيجيريا

الإسلام في نيجيريا:

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري:

لقد انبثق فجر الإسلام على سماء نيجيريا في أواخر القرن الأول الهجري. الذي فتح فيه المسلمون العرب شمال إفريقيا وجزءاً من غربها.

وقد اندفع تيار الإسلام إلى نيجيريا من منبعين. أولهما من مصر عبر السودان العربي، وبلاد فور وباغرمي وبرنو، وثانيهما من شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء حتى وصل إلى المناطق الغابية والساحلية.

لم يكتسح الإسلام القبائل والشعوب اكتساحاً، ولا أدرجها ادراجاً في أول دخوله، ولكنه تسلل فيها تسلاً. قد يتسرب إلى ناحية دون الأخرى، وتكون بجوار قبيلة مسلمة قبيلة أخرى كافرة، أو تكون في قبيلة واحدة مدينة مسلمة وبجانبها مدينة وثنية.

وقد ترى من بعض أفراد اسرة واحدة من هو مسلم، وإلى جانبه من أعضاء الأسرة نفسها من لا يزال يرزح تحت أغلال الكفر والوثنية. كما ترى الملوك والسلاطين الكفار يشهدون الأعياد الإسلامية. إلى جانب المسلمين ويتقدمون بالهبات والصدقات إلى الأئمة والعلماء في هذه المناسبات اشتراكاً مع المسلمين في اعيادهم، وهم لا يزالون في جهالة الكفر والوثنية، وقد فتح هذا التسامح وعدم الإكراه قلوب كثير من الوثنيين، وشرح صدورهم حتى اعتنقوا الإسلام عن طواعية واختيار.

وهذا التسامح أيضاً هو الذي جعل المسلمين يعيشون مع غيرهم في أمن وسلام، ويقسطن إلى الذين لم يقاتلوهم في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم. إنما يقاتلون الذين قاتلوهم لعقيدتهم ويعتدون عليهم بمثل ما اعتدوا عليهم.

ولقد كان الإسلام ينتشر في ربوع إفريقيا الغربية بقوته الروحية لا بالقوة المادية، وكانت النفوس تنجذب إليه بمغناطيسه الطبيعي لادعاية الأموال والأسلحة، ولكل ذلك شواهد ناطقة تحت سماء هذه البلاد إلى يومنا هذا.

وللتجار المسلمين والعلماء الروحانيين فضل لا ينكر في نشر الدعوة الإسلامية. هذا وقد ساعد على ذبوع الإسلام وانتشاره بسرعة عجيبة موافقة لطبيعة أهل البلاد في كثير من تعاليمه وتقاليده.

ويوجد في بعض الجهات آحاد من الغزاة المرابطين والملوك المجاهدين الذين سجل التاريخ لهم مواقف محمودة، وآثاراً ملموسة في هذه البلاد، ولكنهم لم يقوموا بالجهاد الاستعماري، وإنما جمعوا بين الجهاد والدعوة لتأمين حياتهم والدفاع عنها وكسر شوكة الوثنيين.

وكل من درس تاريخ الإسلام علم أصول الجهاد وشروطه، وعلم أن المسلمين الغالبين يعيشون مع المغلوبين كتفاً إلى كتف. سواسية كأسنان المشط لافرق بينهم في اللون والدم والجنس، ولاتفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ولقد سجل التاريخ لقبائل ونفاره وفلانه ومالي وسنغي وبرنو. أدواراً والأوربيون الذين ضاقت عليهم سبل العيش في بلادهم، وبدأوا ينشدونها في السياحات والمغامرات التي قام بها إلى إفريقيا أفراد قلائل

باسم التجارة أحياناً وباسم الارساليات المسيحية أحياناً أخرى، ثم انتهى بهم الأمر إلى أن يصبحوا حكام البلاد على الرغم من أهلها.

والبرتغاليون هم أول من وصلت سفنهم إلى خليج الغنية سنة ١٤٨٥م ودخلوا مدينة بنين واتصلوا بملكها وعقدوا معه المعاهدة الودية.

وفي سنة ١٥٥٣م وصلت أول حملة انجليزية إلى هذه الشواطئ بقصد التجارة، ولكنها لم تنجح في هذه المرة بل مات كثير منها.

غير أن الانجليز استمروا في اعادة الكرة في إرسال حملة أخرى.

وهكذا دواليك إلى أن كتب لهم النجاح سنة ١٥٨٨م، وأنشأوا فيها اسواقاً إلى جانب البرتغاليين والهولنديين الذين سبقوهم إليها، وكانت تجارتهم في بادئ الأمر مقتصرة على العاج والفلفل وزيت النخيل وبذوره والنخاسة التي ظلت زمناً أكبر مورد للثراء الإنجليزي حتى سنة ١٨٠٧م التي ألغوا فيها النخاسة.

ولما كانت لاغوس أكبر مرافئ غرب إفريقيا للنخاسة ومعرضاً للسلع الأوروبية كان من الطبيعي أن يتخذها الانجليز مركزاً لهم في الحل والعقد وباباً ينفذون منه إلى داخل البلاد وسائر النواحي المنطوية اليوم تحت عنوان نيجيريا.

ومن لاغوس ابتدأ الاستعمار الإنجليزي في نيجيريا بصورة ضئيلة ثم لم يزل يزداد ويتسع حتى تفاقم أمره وبلغ سيله الزبي، وقد ابتدأ ذلك بتدخل الانجليز في شؤون لاغوس بسبب تنازع الأخوين على عرش لاغوس أولهما أكتنوي وثانيهما كوسوكو. وكان الأول عميلاً لهم فانتصروا له على الثاني الذي لم يخضع لهم ولم يرض بالاستعمار

فخلعوه ونصبوا الأول ملكاً على لاغوس. بعد أن عقدوا معه معاهدة تتضمن توسيع أعمال المبشرين وإطلاق حريتهم في طول البلاد وعرضها، وفتح أبواب البلاد على شركاتهم التجارية و...

فبذلك سقطت لاغوس تحت أقدام الانجليز سنة ١٨٦٢م، ثم بدأوا يتغلغلون في الجهات المجاورة، وفعلوا فيها نفس الشيء، ووضعوا عليها أيديهم بعد عقد اتفاقيات عديدة مع ملوكها وأمرائها، ثم قسموها قسمين سماوا الأول «محمية المنطقة الجنوبية» والثاني «محمية المنطقة الشمالية».

وقد ثارت ثائرة الملوك والأمراء. بعد أن ذاقوا مرارة الاستعمار فقامت بينهم وبين الانجليز مناوشات برمي الأسلحة وإطلاق النيران وانتهى الأمر بتغلب القوي على الضعيف، فرفع الانجليز عليها راية الفتح والاستعمار.

ولكن الزعماء الأحرار لم يألوا جهدهم في الكفاح والنضال. حتى اضطر الانجليز إلى عقد عدة مؤتمرات في لاغوس، وفي لندن نالت بموجبها البلاد استقلالها التام ابتداءً من أول أكتوبر سنة ١٩٦٠م.

الديانات الأخرى في نيجيريا:

في نيجيريا من الديانات الوثنية كالفتشية والطوتمية، ثم الإسلام فالنصرانية، ويعتمد تدين النيجيريين على الرغبة فيما عند المعبود من الخير العاجل، أو الرهبة مما ينزل منه من الشر العاجل. على أنهم ينسبون كل خير وكل شر إلى قوة هذا المعبود وسلطانه لهذا يخضعون له وينقادون لمشيئته ويستعينون به على شؤون حياتهم.

ونراهم يعتقدون أن المتدين يجب أن يكون سعيداً في حياته قبل مماته، ومن لم يكن في الدنيا سعيداً فلا يكون في الآخرة سعيداً.

لهذا يطمنون إلى دينهم إذا سعدوا بسعة العيش والرزق، وشفاء العلل والأمراض، وتعتورهم الريبة والشكوك. كلما تكلم الدنيا على وجوههم أو تصيبهم جائحة في أموالهم وأنفسهم، لأن ذلك في نظرهم مناف لحكمة التدين. هكذا كانت أحوالهم قبل الإسلام، وقد هذب الإسلام هذه النظرية في عقليتهم، فتهذبت نفوس المسلمين الشماليين أما نفوس الجنوبيين فلا يزال أكثرها فيمن يعبدون الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

فالفثسية: عبادة الأنصاب أو التماثيل المنحوتة من الحجارة والخشب والطين أو الشجر أو نحوها. يعظمها أهلها ويقدمون لها الذبائح والقربان، وكان لهم من ذلك عبادة الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والجبال والأشجار.

والطوتمية عبادة حيوان أو نبات يعتقد أهلها أن أجدادهم الأولين منحدرون منها أقسامها طوتم الجنس وطوتم القبيلة وطوتم الشخص.

وكان بعض النيجيريين يقدسون التماسيح والثعابين والأفيال، ومن قبيل الطوتمية عبادتهم لأرواح الأسلاف، وكانوا يقيمون في ذلك عيداً كبيراً يدعونه «عيد الغول» يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم.

ويتنكرون في هذا العيد خصوصاً للولدان والنسوان، كما أن لهم طقوساً كثيرة لاتشهدها النساء العاديات، ومنها مايقومون به في جنح الظلام أو الغابات.

ومن النيجيريين قوم كانوا يعبدون النار، ويطوفون حولها ويرقصون عليها فلا تضرهم، وهم من الفلانين، ومنهم أيضاً من يعبدون الأنهار ويفعلون لها كما يفعل الأقباط للنيل وهم من اليرباويين.

وللنيجيريين إيمان جازم بالحياة بعد الموت، ونشأ لهم من ذلك اعتقادهم بتناسخ الأرواح. من أب إلى حفيده ومن أم إلى حفيدتها.

فإذا مات الوالد أو الوالدة ثم ولد من عقبهما ولد أو بنت. زعموا أن روح الراحل عاد في شبح المولود الجديد وسموه باسمه.

والزار من آثار الوثنية الباقية في بعض القرى الشمالية، وقد استفاض من بلاد فزان وتمبكتو إلى نيجيريا منذ أقدم العصور.

وهو غيبوبة تحدث لبعض العرافين الذين يعزفون الموسيقى المطربة حتى يصابوا بالغيبوبة، ويزعمون أنهم اجتمعوا في أثنائها بأرواح الأموات، ويتلقون منهم الأوامر من نوع الحيوان الذي ينبغي تضحيته وتفريق لحومه على الأصدقاء ليشفي العليل من علته^(١).

وفي بلاد هوسا كفار يسمون ماغجاوي، وأصلهم كما ذكر الشيخ الكنوي آدم نمعجي أنهم كفار وموطنهم الأصلي في مقاطعات كنو أسلموا عند ذبوع الإسلام فيها بعهد الأسرة الرنفاوية في عهد الكنوية الثانية فسموا «توباوى» ومن أعيانهم رجل اسمه «ماغجا» ثم

(١) ولاتزال هذه العادة بين مسلمي نيجيريا إذا مرض أحدهم يجتمع الناس حوله ويقرأون بعض آيات ثم يضحون ضحية يفرقون لحمها ويسمونها «زاره» في بلاد يوريا.

استصعبوا شرائط الإسلام وشريعته فارتدوا عن الإسلام إلى كفرهم فأصبح كل مرتد يدعى بما غاوي.

فالوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولى المعروفة بهذه البلاد ورؤساء الوثنية هم الكهنة الذين يخطون خطوطاً في الرمل أو يرمون الخرز ويستنطقونه عن الأخبار بالمستقبل.

وهؤلاء الكهنة لهم أخلاق سامية ومعاملات خالية من الغش والكذب والنفاق والخداع.

أما الإسلام فقد اختلف المؤرخون في زمن دخوله إلى هذه البلاد، وعند الإفرنج أنه دخل في القرن الثالث عشر الميلادي، والواقع أن الدولة الكانمية التي ظهرت في بلاد برنو في القرن العاشر الميلادي تثبت قدم الإسلام في هذه البلاد، ومن طبيعة الإسلام أن يتسلل وينتشر ويتغلغل في الأوساط الإفريقية بلا اعتراض.

أما الدخول الحقيقي للنصرانية في هذه البلاد. فكان على يد البرتغاليين في القرن السادس عشر. حيث فتحوا المدارس وبنوا الكنائس في مدينة بنين ولم يستقر بهم قرار.

ثم أعاد المبشرون كرتهم من جديد سنة ١٨٤١م فاستقروا فيها على كره من أهلها وعدم استساغة النيجيريين للمسيحية التي تحرم عليهم تعدد الزوجات وطبيعتهم لا تلائم التوحد.

المسيحية التي تقلد زعامتها البيضان المترفعين المتنطعين المتنكرين للسودان اهـ

التنصير في نيجيريا

دخل المنصرون نيجيريا منذ القرن الخامس عشر الميلادي. مع البرتغاليين كما سبق، ولكن المسيحية لم تنتشر في البلاد إلا في القرن الثامن عشر الميلادي. عندما بدأت وفود الارساليات التبشيرية تصل البلاد من انجلترا وغيرها من البلدان الأوروبية.

وبعد عودة النيجيريين الذين تحرروا من رقبة العبودية التي أوقعهم فيها تجار النخاسة في سوق النخاسة للأوروبيين كانوا يحملون معهم العقيدة المسيحية وانتشروا في المدن والقرى. ينشرون المسيحية والدولة البريطانية تدعمهم ويقومون بدور الترجمة لكبار المبشرين الاوروبيين فأقاموا لهم بعض الكنائس في وقت مبكر، ويرجع أقدم كنيسة في بلاد يوربا إلى عام ١٨٤٥م وهي كنيسة سانت توماس.

وقد دخلت الارساليات التبشيرية مع الاستعمار. الذي رسخ المسيحية واستقدم المبشرين الخبراء في مختلف المجالات، وكونوا مبشرين قساوسة محليين. فأقاموا لهم الكنائس وخصصوا لهم مصالح مادية ارتبطوا بها. فانتشروا في البلاد يبشرون بالمسيحية. ويستغلون سلطة الدولة الاستعمارية لحمل المتعلمين على التنصر.

وقد ركز التنصير جهوده أول الأمر على المناطق الوثنية في الجنوب والغرب، وحاولوا التوغل نحو الشمال، ولكن المنصرين ارتطموا بصخرة الإسلام الصلبة فلم يستطيعوا التأثير إلا على بعض الوثنيين في الأماكن النائية من الشمال، وبخاصة في جهة الجنوب الشرقي.

وبعد الاستقلال سمحت الحكومة النيجيرية للمنصرين أن يعملوا في نيجيريا متسترين وراء شعارات الهيئات الخيرية، كالأطباء والصيادلة و (فيالق السلام) والإخوة والصدّاقة، فانتشرت في البلاد مدارسهم ومستشفياتهم ومراكزهم المهنية وكنائسهم.

الوجود المسيحي في المناطق:

يختلف وجود المسيحيين في الكثافة من منطقة إلى أخرى كما يلي:
(أ) ولايات تكاد تكون خالصة لهم بحيث لا يمثل المسلمون فيها ١٠٪ وذلك في المناطق الشرقية وهي: انمبرا - ايمو - ريفاس - كروس ريفاس - اكوا ابو.

(ب) الولايات التي يشكلون فيها أغلبية بنسبة ٧٥٪ وهي:
ولاية بنوي - بندل - اوندو.

(ج) ولايات يشكلون فيها أقلية تتراوح نسبتهم ما بين ٥ - ٢٠٪ وهي
الولايات الشمالية: صوكوتو - كانو - بوشي - كاتسينا - برنو - غنفولا - نيجر.

(د) ولايات يشكلون أقلية حوالي ٣٥٪ وهي: اويو - اوقون - كوارا - بلاتو.

وهذه النسب تقريبية، وليست مأخوذة من مصادر إسلامية موثوقة.

استراتيجيتهم العالية،

ويركز المنصرون جل جهودهم على المناطق الشمالية والغربية وذلك لعدة أسباب منها:

١- أن المناطق الشرقية يتمتعون فيها بالأغلبية، وولاء الناس هناك لهم بلا منازع ولا يوجد هناك نشاط إسلامي يذكر لمنافستهم.

٢- يريدون أن يكسبوا مواقع في الشمال ليشوشوا على المسلمين أو يشغلهم بأنفسهم على الأقل. حتى لا يتوجهوا بالدعوة إلى المناطق المسيحية ولذلك قاموا بما يلي:

اختاروا منطقتين حساستين في الوسط، واعتبروهما مركزين رئيسيين لعملهم التنصيري إحداهما في نقطة التقاء الشمال بالغرب والثانية شمالية في نقطة تلاقي الشمال بالشرق. وهما:

أولاً: مدينة جوس وهي عاصمة ولاية بلاتو، وهي ولاية شمالية اتخذوها مركزاً لمراميهم التنصيرية في المنطقة، ونشاطهم فيها غاية في التطور، وذو أبعاد سياسية واجتماعية دينية واضحة، فلديهم عدد من المدارس ابتدائية - ثانوية في القرى، والمدن مجهزة أحسن تجهيز ومعهد أكاديمي عالي المستوى أرادوه جامعة ولكن الحكومة لم تقبل لهم ذلك لأن الحكومة تريد أن تحتكر المستوى الجامعي، كما أقاموا كنائس في كل أحياء المدينة وفي القرى المختلفة، ويوجد لهم كذلك محطتان إذاعيتان لبث النصرانية باللغة الهوساوية والفلانية كما لهم كذلك:

- مطار يستقبل طائراتهم الصغيرة التي تأتي من أمريكا وأوروبا لا يعرف أحد ماذا تحمل.

- مركز إعلامي لتسجيل الأفلام السينمائية والتلفزيونية.

- مركز اتصال لاسلكي متطور.

ثانياً: مدينة اباجا: وهي في ولاية كوارا، وهي من المنطقة الغربية تصل الشمال بالغرب، وبالرغم من أن هذه المدينة ٩٥٪ منها مسلمون إلا أنك عندما تدخلها تحس كأنك في مدينة مسيحية. لكثرة الكنائس التي تقابلك في كل اتجاه ومستشفيات ومدارس من الدرجة الأولى. وفي اباجا توجد لهم محطة اذاعية راقية جداً تسمع حتى خارج نيجيريا.

إن تركيزهم على هاتين المنطقتين الإستراتيجيتين يدل دلالة واضحة على وجود خطة مرسومة للتأثير على البلاد، وقد نجحوا على الأقل في صرف اهتمام المسلمين عن مناطق المسيحيين والوثنيين في المناطق الشرقية، فجميع الجمعيات الإسلامية ومدارسها تتركز في الشمال والغرب ولا تجد مدارس ولا جمعيات إسلامية تعمل في المناطق الشرقية. مع شدة حاجة الأقليات المسلمة هناك إلى جهود الدعوة والتعليم، إلا على نطاق ضيق.

ويتخذ المنصرون وسائل مختلفة تتناسب مع كل ظرف وبيئة وشخص، ويمكن تلخيصها في الآتي:

- ١- يبنون الكنائس في القرى والمدن، وسياستهم في ذلك هي أنهم يبدأون ببناء كنيسة في قرية ما، ولو لم يوجد بها مسيحي واحد، ويبدأون في تعميرها بالحضور الدائم، وتنظيم أنشطة ترفيهية ثقافية فيبدأ الارتباط بهم شيئاً فشيئاً

٢- توزيع نسخ الإنجيل بكل لغات نيجيريا الرئيسية، واللغة الإنجليزية، وهي مطبوعة بشكل أنيق.

٣- وفي التعليم يضعون ضعف الرسوم على الطفل المسلم. بحجة أن الكنيسة تتولى بعض التكاليف للتخفيف على أبناء المسيحيين.

٤- يختارون أبناء المسلمين النجباء في الدراسة فيمنحونهم فرصة للدراسة في الخارج ليعودوا مسيحيين أو على الأقل أشخاصاً لاهل علاقة لهم بالإسلام.

٥- وفي المستشفيات: يبنون كنيسة أو كنائس في بعض الأحيان داخل المستشفى، أو بالقرب منه، ويقوم المنصرون بزيارات دورية للمرضى لتوزيع الأدوية، ثم يدعون المريض الذي يتماثل للشفاء لزيارة الكنيسة. ليؤدي شكر المسيح الذي شفاه! كما يخصصون حصصاً توجيهية في الصباح قبل حضور الأطباء، ويستمع إليها المرضى عفويّاً من خلال الأبواق المركبة في الغرف وقاعات الانتظار، وأحياناً يقدمون دروساً تبشيرية للمرضى مباشرة على شكل محاضرة قصيرة.

٦- يفتحون مراكز نسوية مهنية لاستيعاب الحركة النسوية. بالإضافة إلى المراكز التي يوفرونها للفتيات في الفنادق والشواطئ لتكون فرصة لتصيد الشباب وتنصيرهم.

٧- يستقدمون مبشرين من الأوروبيين. فيعاشرون الوثنيين في أمكنتهم فيتحملون المشاق ليقدموا قدوة للمسيحيين الأفارقة وهم يجيدون اللغات المحلية.

المشاهدات

يوم السبت ١٥/٥/١٤٠١هـ - ٢١/٣/١٩٨١م:

من اكرا إلى لاجوس:

ودعنا مدينة (اكرا) الودود، وهي عاصمة الجمهورية الغانية، ولم أكن أعرف أنني بتوديعها قد ودعت إفريقية الغربية الودود كلها. إذ جميع البلاد التي مررنا بها قبل ذلك. وهي غامبيا وسيراليون وليبيريا وغانا أهلها ذوو طبيعة سمحة، وعدم تشدد في المعاملة مع الغريب الذي لاتخفى غربته على أحد. بسبب لونه الذي لايمكن إخفاؤه فيها، على تفاوت بينهم في ذلك، وكنا من حيث لم أكن أعرف نودع هذه البلاد السمحة، إلى البلاد الفظة الغليظة (لاجوس) عاصمة نيجيريا. التي ربما كان سبب فظاظتها وغلظها مع الأجانب هو غناها وقوة دولتها ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ صدق الله العظيم. [الآيات ٦ ، ٧ من سورة العلق].

وعندما نهضت الطائرة من مطار (اكرا) قاصدة (لاجوس) صارت تطير فوق أحياء واسعة من أكرا. ثم استوت في الجو، وأصبحنا لانرى شيئاً بسبب قرب غروب الشمس، وكون هذه الأرض الإفريقية تسبح في بحر من أبخرة الماء التي تكاد تتكاثف إذ تمازجها أدخنة من دخان الوقود، لأن وقود هذه البلاد الرئيسي هو الحطب والأخشاب.

وبداً مضيفو الطائرة - التي ركبنا فيها - النيجيرية. التي هي من طراز بوينغ ٧٣٧ بتقديم الضيافة، وهي علبة صغيرة من الصفيح من شراب محفوظ، ولكنه فاسد، لايطاق ذوقه فضلاً عن شربه، وقد كتب عليه أنه من انتاج الهند، وربما كان إلى هنديته قديماً قد فات وقت صلاحه ومعه قطعة مما يشبه (الكعك) في حجم البيضة، ولو كان

الأمر يتعلق بمقداره فقط لما كان يستحق الذكر، بل لو لم يقدموا شيئاً أصلاً لكانوا معذورين لأن الطيران قد استغرق (٤٣) دقيقة فقط، ولكن الأمر كان يتعلق بالتقديم فالمضيفات يقدمنه، وكأنهن يتصدقن به عليك، وقد نسين مرة أو مرتين بعض الركاب. فأخذوا يمدون أيديهم إليهن يطلبون هذه الضيافة، وهن ينظرن غير مباليات لمدة طويلة، ولما ذاق أحد زميلي هذا الشراب الفاسد وأنه من الهند قال ممازحاً: ألا يدل فساد طعمه على أن الهنود قد خلطوه بشيء من بول البقر المقدس عندهم؟

في مطار لاجوس :

بدأت لاجوس في الظلام مدينة كبيرة مضاءة. فيها شوارع قليلة ذات أضواء صفراء مما يدل على أنها من الشوارع الرئيسية، أو من (الهائي وي) كما يقول بعضهم.

وشوارعها وبيوتها مضاءة بأضواء جيدة، ولكن من غير إسراف، رغم أنها من البلاد المصدرة للوقود.

وقد لاحظت أن بعض الناس فيها مغرمون باللون الأخضر. ففي عدد من بيوتها أو متاجرها - لا أدري ماهي من الطائرة - عدد كبير من المصابيح ذات النور الأخضر.

وبدا لنا المطار عندما نزلنا فيه قليل الأنوار في مدارجه ضعيفها، ولكن أبنيته ومكاتبه ذات أضواء جيدة.

وقفت الطائرة وهي من طراز بوينج (٧٣٧) عند دهليز متحرك. كما يكون في المطارات الكبيرة، وهو أمر لم نشاهده في هذه السفرة بعد أن فارقنا مطار شارل ديغول في باريس، ومررنا بعدة مطارات

إفريقية. فدخلنا منها إلى دهليز حديث من دهاليز المطار. حتى وصلنا إلى مكتب الصحة، فنظر الموظف إلى البطاقة الصحية. التي أحملها وختم على الأوراق. مع أنه ليس فيها تطعيم ضد الحمى الصفراء، وكنت قد أشفقت من ذلك ثم إلى موظف الجوازات.

ومن هناك نزلنا مع درج كهربائي متحرك. إلى حيث تسلم الحقائق، وقد أريتهم جواز سفري، ولكن الموظف كلمنا من طرف لسانه، وبعنجهية وتكبر كما فعل من قبل ضابط الجوازات الذي كان يعاملني مع أنه يرى جواز سفري بغلظة واحتقار، وكأنني قد أسأت إليه، وكان موظف الجوازات هذا لم يختم على الجواز إلا بعد أن اطلع على التذكرة، واطمأن على أنها تحتوي على تذكرة مغادرة لنيجيريا، وكأنه ظن لذكائه المفرط أن سعودياً يحمل جواز سفر دبلوماسياً فيه تأشيرة (دبلوماسية) من سفارة نيجيريا في جدة. سوف يفضل الإقامة والعمل في نيجيريا بصفة دائمة، أو بصفة غير مشروعة. حتى إذا أجبره النيجيريون على مغادرة بلادهم وجدوا أن معه تذكرة سفر تسهل له تلك المغادرة فلا تتكلف خزينة الدولة النيجيرية تذكرة إبعاده.

ولاشك في أن لديه أوامر تقضي بأن يطلع على تذكرة المغادرة لبعض الأشخاص. قبل أن يسمح لهم بالدخول إلى نيجيريا. إلا أن من المشكوك فيه أن السعوديين (الدبلوماسيين) منهم.

وأيّاً كان الأمر فإن المهم ليس هذا، وإنما المهم أن هذه العنجهية والغلط في المعاملة مع قوم هم مثله في الغنى والاستغناء عن الآخرين أمر مخالف للذوق السليم فيما أعتقدته.

وفي هذه المناسبة يذكر المرء الذي سبقت له زيارة البلاد الأوروبية أو الولايات المتحدة أو اليابان، أو غيرها من البلدان الغنية، أنه لم يعامله أهلها إلا معاملة كريمة على غناهم وقوة دولهم.

وظني أنهم - أيضاً - يعاملون النيجيريين مثل ما يعاملوننا. لا مثل ما يعاملنا به هؤلاء.

والإنطباع الذي يخرج به السائح، أو الغريب الذي يأتي إلى هذه البلاد مثلي لأول مرة، ويسجل ذهنه بعض أنواع المعاملة فيستقبح ما يراه قبيحاً، ويستحسن ما يراه حسناً دون أن يتعمق في الأمر أقول: إن الانطباع عن موظفي هذه الدولة الإفريقية الغنية الكبيرة يعطي مثلاً سيئاً عن الإفريقيين في أذهان الآخرين القادمين من خارج البلاد.

خرجنا من نطاق (الجمرك) إلى القاعة الداخلية للمطار. فإذا بها واسعة مستطيلة تشبه مثيلاتها في أكثر البلدان الأوروبية. نظيفة مرتبة تدل على مبلغ العناية المبذولة في هذا المطار وفي صيانة مرافقه.

وكان يرافقنا ثلاثة من المتطفلين كانوا معنا حتى داخل المنطقة الجمركية. أي أنهم من موظفي المطار، أو من المخولين دخوله، والخروج منه، أحدهم أبى إلا أن يدفع بيده العربية التي تحمل حقائبنا، والآخر أعان أحد الأخوين على كتابة اسمه بالانكليزية على الورقة الخاصة بالإقرار الجمركي، والثالث ما أدري ما صنعته إلا أنني رأيته إذا كان الطريق سينحرف ذات اليمين أشار بيده إلى جهة اليمين وقال: هنا وكذلك ذات اليسار.

وقابلنا عندما خرجنا جيش من المتطفلين. عدد منهم يعرضون (تاكسي)، وآخر يتطفل بأنه سيخدم، ولا ندري ماذا يريد أن يفعله وأفهمناهم بأننا لن نريد (تاكسيًا) لأن لنا صديقًا سيأتي ويأخذنا بسيارته، ولكنهم لم ينصرفوا.

وذلك لأن السفارة السعودية في أكرا كانت قد أبرقت للسفارة السعودية في لاجوس أن تخبر الملحق الديني في لاجوس أن يستقبلنا في المطار. فظن زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق أنه ربما كان قد خرج إلى المطار، وإذا كان لم يعلم بذلك فإن بإمكانه أن يكلمه بالهاتف ليأتي.

ولم يذهب أولئك المتطفلون حتى أعطيناهم نيرة أو نيرتين للواحد والنيرة تساوي أقل من دولارين قليلاً بالصرف الرسمي.

وذلك لأنني ذهبت إلى بنك المطار، فصرف لي مائة دولار بسبع وخمسين نيرة وعشرة كومات، والكومو للنيرة بمئاة السنتي للدولار، ولكنه لم يعطني إلا ستاً وخمسين ونصفاً، واحتفظ بالباقي لنفسه، ولم أعلم بذلك إلا عندما ذهبت عنه، لأنني لم أكن أتصور حدوث مثل هذا الأمر.

البحث عن فندق :

خرجنا بأمّتعتنا للبحث عن سيارة أجرة. فتجمهر علينا بعضهم، وهم يقولون: عشرون نيرة، وأخيراً جاء واحدًا من البلد ورضي بعشر نيرات إلا أنهم اختصموا معه، وقالوا ليس عضواً في (تاكسيات) المطار وحملنا أحدهم بما رضى به من العشر نيرات، وتساوي حوالي تسعة عشر دولاراً أو ستة وستين ريالاً سعودياً.

وكان السائق بل كل واحد منهم يتكلم مع قومه ومعنا بشدة وعنف وكأنه قد فقد أعصابه أو كأنه قد انتهى لتوه من خصومة عنيفة. حتى السائقون فيما بينهم كان بعضهم يلح على الآخر بنفير سيارته لأدنى سبب، ولا يصبر عليه، وسائقنا كان إذا رأى شخصاً يريد أن يعبر الطريق من بعيد. أخذ يواصل إطلاق مزمار السيارة، ويسرع في السير حتى لا يمكنه من قطع الطريق قبل أن يمر بسيارته.

واجتزنا جسوراً قوية على الطريق مليئة بالسيارات. ثم أخذ السائق ذات اليمين تاركاً الشارع الرئيسي لأمر لاندري ماهو، وإذا بجنود ثلاثة يوقفونه، ويسألون ماذا في هذه الحقائق التي في السيارة؟ وأردت أن أغضب فهذه حقائقنا. التي لم يجرؤ الموظف في المطار على السؤال عما تحتويه بسبب الجواز السياسي. يأتي جندي في الشارع فيسأل عما فيها.

ولذلك قلت له بقوة: إنها حقائقنا. وكأنما أثرت فيه هذه القوة. فسمح لسيارتنا بالتحرك، وأما السائق فقد قال: إنها الحكومة، إنها الحكومة، يريد أنها يحق لها أن تسأل عما تحتويه الحقائق، ولك أن تتصور غرابة أن تكون قادماً من المطار بعيداً عنه. فيوقفك شرطي ويسألك عما تحتويه حقائقك.

وسار مع طريق جيد ذي ثلاث مسارات أحياناً، ومسارين اثنين في بعض الأحيان، وعليه جسور قوية متقنة، ومع ذلك هي كلها ممثلة بالسيارات، والسائق يكرر قوله: (هولدي إن) بعيد، والزحام شديد، ولذلك طلبت نقوداً كثيرة.

لأننا كنا قد طلبنا منه أن يذهب بنا إلى فندق (هولدي إن) ولكن الفندق عندما وصلناه قال: إنه لا يوجد عندهم غرف خالية، وجربنا

غيره ثانياً وثالثاً وأما الرابع فإن سائق الأجرة قال: إنه لن يذهب إليه إلا إذا عرف كم الزيادة التي سنعطيه إياها فأخبرناه أنها خمس عشرة نيرة.

ووصلنا إلى فندق اسمه (فيدرال بالاس هوتيل) أو فندق قصر الاتحاد. فكان مدخله جيداً على البعد. فسألت الموظف فيه عما إذا كانت عنده ثلاث غرف منفردة؟ فأجاب: إنه ليس عنده إلا غرفتان مزدوجتان أي: في كل غرفة سريران، فسألته عن سعر الغرفة الواحدة؟ فأجاب: إنه اثنتان وأربعون نيرة.

فقلت: أريدهما، فلما ملأت البيان المطلوب في العادة. أعطاني ورقة وقال: احضر لي من الصندوق ما يثبت أنك قد دفعت الأجرة. فقلت له: أهي ضرورية الآن؟ قال: نعم قلت له: وهذا الجواز الدبلوماسي؟ قال: لا بد من الدفع مقدماً.

قلت له: إذا أعطيك شيكات سياحية غير موقعة أكثر من هذا المبلغ بمثابة تأمين. حتى أعطيك في الصباح فقال: لا أقبل إلا الدفع الآن، وإلا لن أسكنك.

وكننت لأحب الدفع الآن لأن صرف الدولار في غير الفندق هو أربع وثمانون نيرة في مائة دولار، وفي المطار صرفوا الـ ٥٧ نيرة بمائة دولار. وعندما أصر اضطررت للدفع فأخذ مني مائتي دولار، وكتب أن المطلوب مائة نيرة. مع العلم بأن الأجرة هي (٨٤) للغرفتين، وأنني أفهمته أننا لن نقيم عنده إلا ليلة واحدة، وزاد على ذلك بأن نقص صرف الدولار فأخذ عن كل نيرة دولارين، ولكننا عندما أردنا الخروج في الصباح أعطاني ست نيرات ونصفا فهو أخذ

زيادة عما في الإيصال الذي كتبه بنفسه تسع نيرات ونصفا. إلى جانب ما أخذه من نقصه في الدولارات عن الصرف في بنك المطار. الذي يكون في العادة غالياً مبلغ خمسة عشرة نيرة، إلا إذا كان قد احتسب طعام الإفطار بالنيرات التسع التي اقتطعها فهو لم يقل ذلك، ونحن لم نوقع على شيء في المطعم. هذا بالإضافة إلى معاملته التي ليس فيها من المجاملة شيء، ومن الإنصاف له أن أقول إنه لم يكن يخصنا بهذه المعاملة وحدنا، بل هذا فعله مع سائر الذين رأيتهم حوله.

نزل زميلي الشيخ عبدالعزيز الربيعان والشيخ إسماعيل بن عتيق في إحدى الغرفتين ونزلت في الأخرى، وكلتاهما من ذوات السريرين، ولكنني وجدت المكيف في غرفتي لا يعمل، فظننت أن ذلك لانفصاله عن التيار الكهربائي، وأسرعت ألتمس أحداً من العاملين في الفندق ليوصله به، فلم أجد أحداً.

وأخيراً . . وجدت باب إحدى الغرف مفتوحاً، فناديت من فيها، وسألتهم عن يصلح هذا المكيف؟ فقالوا: إن المكيف في غرفتنا متعطّل منذ مدة ولذلك فتحنا النوافذ والأبواب كما ترى، وكل المكيفات في هذا الصف متعطّلة ، ولكن الصف الذي فيه غرفتك فيه غرف صالحة، وبالفعل كان المكيف في غرفة زميلي صالحاً.

فاتصلت بالهاتف بموظف الاستقبال، وطلبت منه أن يرسل إليّ من ينظر في المكيف، والمهم أن يأتي من يعرف الأمر ويقول إنه يمكن إصلاحه أو لا يمكن . فقال: سوف أبعث إليك شخصاً يصلحه وانتظرت في الحر الشديد، والرطوبة المرهقة للأعصاب، فلما أيسّت

اتصلت به ثانية، فقال إنه قادم إليك، وانتظرت أكثر من المرة الأولى على مضض، ولم يأت أحد، فنزلت إليه بنفسي وحدثته عن المكيف المعطل فأجاب: إن هذه مشكلة عامة أو (جنرال بروبلم) على حد لفظه. فقلت له: كان أولى بك أن تقول لي هذا من قبل. لا أن تحبسني في الغرفة وأنا انتظر من يأتي واترك الجلوس في غرفة زميلي الباردة لهذا السبب.

واحتجت أن أشرب ماء بارداً. وكانوا قد وضعوا (زمزمية) أي وعاء حفظ الماء بارداً في الغرفة ليس فيها ماء، فذهبت أبحث عن غرفة لخدمة هذا الطابق فوجدتها قد كتب عليها (خدمة) وبابها الذي فوقه هذه الكتابة زجاجه محطم، وفيها باب آخر يفتح على جهة أخرى ليس فيه زجاج، وقد أسود ماحول مقبض الباب من الاتساخ حتى صار حالك السواد، وكرهت الماء من هذه الغرفة، ولكنني وطنت نفسي إذ رأيت برادة كهربائية، وهي التي تبرد الماء وحده فوجدتها لاتعمل ويبين عليها أن ذلك كان منذ مدة.

ولما عدت أريد غرفتي رأيت بنية صغيرة، فسألتها عن الماء البارد فأسرعت تريني هذه الغرفة القذرة. التي هي خالية من الخدم وتجاوزت الآلة لأنها تعرف أنها خربة ثم مدت جسمها ترفعه لتتنظر في سطل أي: إناء فوق مائدة خشبية عالية، وهي تقول: هنا الماء البارد، إلا أنها التفتت إليّ وهي تقول بأسف: لقد نفذ.

ولما رأيت هذا السطل وجدت أنه لم يبق فيه إلا مالا يغرفه الإناء وهو متسخ، وإذا بهم يعطون الناس الماء الذي يشربونه منه.

ودخلت حمام غرفتي فإذا بالحمام أكثره يحتاج إلى إصلاح، والماء في حوض الاستحمام يصب من (الدش) ومن أسفله في آن واحد ، وهو يتسرب من حنفيته باستمرار، ومع ذلك رأيتهم كتبوا فوق الحمام: (من فضلك؛ اغلق الحنفية). وتحت هذه الجملة؛ عبارة (النزلاء مسئولون عن أي تلف أو ضرر يلحق بالسجاد أو غيره مما في الغرف ماداموا ساكنين فيها) وهي عبارة عجيبة لم أرها في غير هذا الفندق العجيب.

وأما الوضع في الغرفة فإنه لا يبعد عن ذلك. فأبواب خزانة الملابس لا يستطيع أن يفتحها أو يغلقها إلا رجل ذو قوة شديدة، لأنها من السحاب التي لا تنزلق، ولذلك لم استعملها والمكتب في الغرفة موضوع في أكثر المواضع فيها بعداً عن النور، وليس فيه أي ورقة تدل على استعمال الهاتف أو غيره.

أزمة عشاء :

وأزمة العشاء فيها شبه من أزمة الفندق نفسه، فقد نزلنا إلى القاعة نبحث عن المطعم، وكانت القاعة حارة رطبة لأنها ليس فيها شيء من التكييف، ووجدنا مطعماً صينياً فدخلناه، ولكن أحد العمال فيه ردنا بجفاء قائلاً: إن آخر طلب في المطعم هو الساعة العاشرة والنصف ونحن الآن في الحادية عشرة، ولم ننتبه إلى أن توقيت لاجوس متقدم على توقيت غانا بساعة واحدة، فسألنا عن مطعم آخر فقالوا: إنه في طرف القاعة فوجدناه معلقاً عليه كلمة (مغلق)، وجلسنا في القاعة في الحر على مقاعد معظم مافيها من الطلبات هي المشروبات. فجاء خادم لطيف الطبع. فسألناه عن العشاء فقال: إنه لا يوجد عشاء، وإنما

يستطيع أن يأتي لنا بدجاج مع البطاطس من البار، وزجاجات من الميرندا ففرحنا لذلك.

وجاء بالدجاج ثلاثة أطباق في أحدها معه بعض البطاطس المقلي، وليس في الطبقين الآخرين شيء فسألنا عن تفسير ذلك، فقال: إن البطاطس نفذ. فسألناه خبراً فقال: إنه لا يوجد عندهم. فقلنا: كيف نتعشى دجاجاً وحده، فجاء بفطيرة صغيرة واحدة، وطلب عن الجميع ١٨ نيرة ونصفاً أي مايساوي بما صرفناه من دولارات (٣٥) دولاراً أو أكثر من مائة ريال.

وعند النوم فتحت النوافذ كلها، ودخل معها البعوض يلسع ويلسع، واخترت لسعه على الحر الخانق في غرفة ثمنها مائة دولار إلا ثلاثة دولارات. أي: مايعادل ثلثمائه وعشرين ريالاً سعودياً في الليلة الواحدة.

وعندما ذكرت ذلك لبعض موظفي السفارة وأنني اخترت لسع البعوض على الحر. أجابوا بأنهم يؤثرون الحر على لسع البعوض، لأن البعوض خطر، وهو ينقل حمى الملاريا الموجودة في هذه المنطقة من إفريقية الغربية.

يوم الأحد ١٦/٥/١٤٠١ هـ الموافق ٢٢/٣/١٩٨١ م

كان الإفطار في مطعم للفندق في موقع جميل إذ هو مكان مرتفع يطل على حديقة واسعة. بعدها مباشرة تأتي مياه ميناء لاجوس، ويرى المرء منه البواخر الكبيرة في الميناء، ويعجب من استطاعة مياهه أن تتحملها، ولاشك في أنهم كانوا قد عمقوه لهذا السبب.

وكان الإفطار جيداً. لولا أنهم لم يقدموا المربي، وقالوا: إنه لا يوجد لديهم كما أنهم قدموا عصير أناناس متغير، وكنت طالبت منهم عصير برتقال، فقالوا: إنه لا يوجد عندهم، وكان الذباب كثيراً فيه لأن المطعم هذا مفتوح على الهواء الطلق وليس فيه تكييف وهذا الذباب الذي رأيته هنا لم أره في أي فندق دخلته في إفريقية الغربية قبل هذا الفندق الكبير الذي أصابه الغلاء، وسوء الاستقبال وترحمت على فندق (تيرانقا) في السنغال بل على السنغال كلها التي يأخذون منك نقوداً كثيرة. لكنهم يقدمون لك خدمات جيدة نظيفة، بأنفس سمحة رضية.

ومن هذا المطعم في الصباح يلاحظ المرء منا في حديقة الفندق الواسعة ما لاحظته في حديقة فندق (رنقوي) في (أكرا) من كثرة السحالي، أو الحرياءات الكبيرة التي تكون في بعض الأحيان ملونة، ويعجب من نموها بهذا القدر، ويعتقد أنه لو كانت توجد عندهم كلاب، أو قطط كثيرة أو طيور جارحة لما نمت هذه الحرياءات بهذا الشكل الملفت للنظر.

وقبل الساعة الثانية عشرة انتقلنا من هذا الفندق الذي لا يطاق الجلوس فيه إلى مكتب الملحق الديني في نيجيريا، وكان الملحق نفسه الأستاذ عبدالعزيز الملحم غائباً عن لاجوس في مدينة كانو. فاستعنا بالأخوين الكريمين عمر الخزيم وإسماعيل صفطه من موظفي السفارة السعودية في البحث عن غرف مريحة في أحد الفنادق، فكانا معينى خير، إذ تعاونوا مع موظف مغربي في الحصول على ذلك من فندق (هولدي إن) وسكنا فيه بأجرة للغرفة ذات السرير الواحد (٤٥) نيرة أي (٩٠) دولاراً بصرف الفندق.

وعندما كنا في مكتب الاستقبال في هذا الفندق، وكان أخوانا الكريمان و(الدبلوماسي) المغربي واسمه عمر... يحاولون أن يملأوا البيانات اللازمة للنزول. لاحظت من طبيعة معاملة القوم لهم ما ازعجني إذ عرفت أن النيجيريين كانوا يعاملونني في المعاملة، وأنهم كانوا يعاملون الآخرين من هؤلاء العرب العاملين في السلك السياسي في بلادهم معاملة جفاء وغلظة، وعدم مبالاة حتى لقد استغرق إجراء دخولنا إلى الغرف ساعة إلا ربعاً، وهو كان يتم في فندق (هولدي إن) في البلدان المتقدمة إدارياً في خمس دقائق أو ثلاث.

وعندما دخلت غرفتي ورأيت صغرها قلت للأخ إسماعيل صفطه أكل هذا العمل من أجل هذه الغرفة الصغيرة؟

فقال: ولولا الوساطة والشفاعة ما حصلت.

ومن نافذة هذه الغرفة يطل المرء على منظر بديع، إذ يرى تحته مياهاً نهريّة. يأتي بعدها شريط من اليابسة ضيق. عليه منازل مزدحمة بعده مياه المحيط. بحيث يبدو ذلك الشريط كأنه البرزخ الذي يفصل بين هذين المائتين فلايبغيان.

وتقع الغرفة في أعلا أدوار الفندق وهو الحادي عشر، ومع ذلك لم تخل من المنغصات، فقد كانت أرضها تنضح بالماء. بحيث لا تستطيع أن تسير عليها بالجوارب، لأنها تبتل وعندما خلعتها خيل إليّ أن الماء ينبع من بين أصابع رجلي إذا مشيت فيها. فخشيت أن يكون هذا الماء قذراً، ولم أجد من أسأله إلا بعد حين. إذ جاء خادم للغرف فسألته عنه فقال: إننا كنا قد غسلنا سجاد الغرفة هذا الصباح. لأنه كان قذراً،

ولذلك تراه رطباً، وقد غسلوا السجاد دون أن يحركوه من موضعه لأنه كان من الموحد المسمى بالموكيت، ولم يجففوه أو يجففوا أرض الغرفة بعد الغسل، وفي الليل انقطع الماء عن الغرفة كلية لفترة من الوقت، ولم يكن فيها وعاء معد للإحتياط لذلك كما كان في الفندق الذي تركناه.

وفي أول الليل كان هناك حفلة عشاء بجانب بركة السباحة، وكانت الموسيقى تواصل إزعاج النزلاء الذين يريدون الهدوء أو النوم، ثم في الليل كله كانت هناك أصوات تشبه أصوات المحركات الثقيلة أو القطارات لأدري مبعثها.

لاجوس:

اسم أطلقه البرتغاليون على المدينة المعروفة عند أهلها بمدينة ايكو وقد سميت بلاجوس نظراً لكونها تقع على جزيرة من بحيرة مفرطة.

والمدينة أسسها جماعة نزح بعضهم من قرية إشيري، وبعضهم من مدينة أوتا وآخرون منهم من مدينة بنين.

وقد رست في لاجوس أول باخرة برتغالية سنة ١٤٨٢م، ولم يعرفها الانكليز إلا في سنة ١٥٥٣م، فصاروا يقصدونها لتجارة الرقيق وحاصلات إفريقيا. حتى صار لاجوس سوقاً كبيرة للاروبيين جميعاً.

وفي سنة ١٨٤١م بعثت الحكومة البريطانية ١٤٥ رجلاً بحرياً إلى «لو كوجا»، حيث يلتقي نهر بينوي بنهر النيجر، واتخذها الانكليز

قاعدة للتفاهم مع الملوك والأمراء في ايقاف النخاسة. فأصيب عدد كبير من الوفد بالحمى فماتوا. ثم لم يزل الانكليز يرسلون البعثات الواحدة تلو الأخرى. حتى سنة ١٨٤٩م. حيث عينوا جون بيكرافت حاكماً رسمياً، وسفيراً لإصلاح ذات بين التجار والملوك المتنازعين فيما بينهم، ولمحاولة ايقاف النخاسة. فامتنع الملوك والرؤساء من قبول هذا الشرط فوقع الخلاف بينهم وبين بيكرافت.

يوم الاثنين: ١٧/٥/١٤٠١هـ - ٢٣/٣/١٩٨١م

جولة في لاجوس :

كان رفيقا الجولة الشيخين مصطفى زغلول سنوسي من أخواننا النيجيرين الذين يجيدون التحدث باللغة العربية بطلاقة والشيخ عبدالعزيز الربيعان، ولما أراد الشيخ مصطفى أن يذهب بنا بسيارته تذكر شيئاً وقال: طيب. فقلت: ماذا؟ فقال: اليوم من الأيام التي يجوز فيها لسيارتي أن تسير داخل مدينة لاجوس، وذلك بأن الحكومة قد خصصت أياماً يسمح فيها بالسير للسيارات التي تبدأ بأرقام معينة وأياماً أخرى للسيارات التي تبدأ لوحاتها بأرقام أخرى، وذلك من أجل التخفيف من زحام السيارات في مدينة لاجوس.

قال: أما سيارات الأجرة والسيارات (الدبلوماسية) فإنها لاتخضع لهذه القيود، ولاتسري هذه القيود إلا ما بين السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً.

خرجنا من فندقنا (هولدي إن)، ولكنهم يسمونه (إيكو هولدي إن) ويقع في أرقى حي من أحياء لاجوس يسمى (فيكتوريا آيلاند) أي:

جزيرة فيكتوريا، وفيه بعض الدوائر الحكومية الهامة، والسفارات الأجنبية، ومنها السفارة السعودية، وهو ذو شوارع واسعة، وعمارات عالية ولكنها ليست متراصة، بل هي متفرقة إلا أن أرصفته ترابية، ونظافته ليست على مقدار فخامته ووجاهته، بل هي أقل من ذلك. ويليه في الأهمية في داخل العاصمة حي يسمى (ايكوي).

ومن الغريب أنه يوجد هنا في لاجوس - وفي هذا الحي بالذات - من بين الأشجار الضخمة أشجار (الجزورينا) أو الأثل الأمريكي، وهي قليلة في البلاد الاستوائية الإفريقية.

وفي أطراف هذا الحي توجد الجسور الاسمنتية التي هي كثيرة في هذه العاصمة الإفريقية الكبيرة، وعامل كبير في تخفيف الازدحام في سير السيارات، وكنا نسير فوق أحدها مدة على أيسارنا ميناء لاجوس المزدحم بالبواخر، وكنا نشاهد بناء عالياً. على هيئة برج في أعلاه جزء قائم، والبناء مؤلف من ٢٥ طبقة. قالوا: إنه برج الاتصالات اللاسلكية.

أما السيارات هنا فليست بالقدر الذي سمعت به من قبل، ولا بالذي يستوجب اجراء شديداً مثل منع بعض السيارات، ولكني لاحظت أن الناس يقودون سياراتهم، وكأنهم بأعصاب مشدودة. فلا ينتظر بعضهم بعضاً قبل أن يزعجه بنفير سيارته. وتجاوزنا جسراً كبيراً على خليج من البحر. هو أحد الخلجان التي تحيط بجزيرة (لاجوس).

وانتقلنا بسرعة إلى حي آخر كان في القديم منفصلاً عن لاجوس، فرأينا فيه على أيماننا ملعباً رياضياً قديماً غير بهيج المنظر، وذلك

بلاشك منسجم مع مايحيط به من هذا الحي الذي يبدو قديماً، وإن كان في الحقيقة أقل من ذلك في القدم، وأرصفتة كأكثر الأرصفة في مدينة (لاجوس) ترابية.

سوليري أو من صبر ظفر :

وصلنا إلى حي آخر اسمه (سوليري) قال لنا الشيخ مصطفى زغول: أن معنى ذلك (من صبر ظفر). منازلها جيدة أغلبها من ثلاث طبقات. كلها مبنية من الإسمنت، والنظافة فيها ليست على مايرام، ولكنك تشعر وأنت تسير فيها كأنك تسير في مدينة هندية، أو في حي عربي قديم. لولا أنه أقل من الاثنين نظافة، والشعب الذي فيها يخيل إليك إذا لم تنظر إلى لونه أنه شعب هندي أو عربي. لكن إذا نظرت إلى بعض عاداته التي لم تطمسها المدنية الحديثة وجدتها ظاهرة. مثل أن تمر بعض النساء، وطفلها خلف ظهرها مربوط إليها بحزام، وأن تجد امرأة في حانوت صغير، ومثل هذين الأمرين قليلا الوجود في الحي الراقي الذي فيه فندقنا (فيكتوريا ايلند).

موشن المدينة التي أصبحت حياً :

كما يكون في المدن التي تنمو بسرعة، ففتبتلع مايحيط بها من مدن أو قرى صغيرة. فإن (موشن) كانت مدينة منفصلة، ولكن لحق بها عمران لاجوس واحتواها.

والقصد من الذهاب إليها ليس هو السياحة مع أن السياحة إليها سبب معقول، وإنما سبب ذلك هو زيارة مدرسة الدعوة والإرشاد التي أنشأها صاحبنا الشيخ مصطفى زغول سنوسي هنا.

وقد وجدنا سوقها مزدهراً بالمارة، وأكثرهم من الإفريقيين الأصلاء الذين قد ارتدوا لباساً أوروبياً شفافاً. لا يخفي أصلاتهم الإفريقية. مثل ارتداء اللباس الإفرنجي المخفف الذي لا يحتمل الجسم منه غير القميص الذي ليس تحته شيء مع السروال، وبعضهم يختصر ذلك فيلبس السروال قصيراً، ولكن هؤلاء ليسوا بالأغلبية.

وأما النساء فقد لبس أكثرهن القمص الإفرنجية (الفساتين) وبعضهن باللباس الوطني الفضفاض.

ووقفت السيارة عند بيت قديم مبني من الإسمنت المسلح، فصعدنا إلى الدور الثالث، ونحن لم ندر ما هذا البيت. إذ لم يخبرنا مرافقنا به فدخلنا غرفة استقبال فيه.

الطبل والتلفاز ،

وتعظيماً للطبل الإفريقي العريق، أو لسبب لأعرفه. وضعوا فيها الطبل فوق التلفاز (التلفزيون) الأبيض، وكان هذا فيما يظهر من بقايا تقليد قديم.

واستقبلنا في هذه الغرفة الواسعة رجل كان يجلس في صدر الغرفة التي علقوا في واجهتها صورة أحد الوجهاء بالحجم الطبيعي، وأكبر من ذلك قليلاً وكتبوا تحتها إنها صورة (الحاجي ... بوصيري أو لومسوقو)، وقبل ذلك عدة ألقاب منها هذا اللفظ بحروف إنكليزية، وهو رجل يستحق أن ينوه به. من كبار أغنياء المسلمين الذين يقدمون المال لخدمة الدعوة الإسلامية.

ومن مظاهر أهمية مركزه أن هذا الجزء من (موشن) الذي نحن فيه الآن سمي (اولومسوقو) على اسمه. ولكونه أول من نزل فيه وعمره.

وله حسنات منها أنه أعطى المدرسة التي سنزور مقرها التي هي فيه بصفة مؤقتة، وهو مقر مبني، بدون أجرة. حتى تجد المدرسة مكاناً لها آخر، وتستغني عن هذا المكان.

وغاب الشيخ مصطفى هو والشخص الذي كان في المجلس، وهو ابن الحاج بوصيري رحمه الله فترة ثم رجعا، وقال الشيخ مصطفى: هيا بنا، فتبعناه، وقلنا له: ما هذا المكان الذي كنا فيه؟ فقال: هذا مكان يستريح فيه ضيوفنا وزوارنا، ولكن الذي فهمته أنه أجلسنا فيه، وذهب إلى مدرسته القريبة منا. ليجعل المدرسين والطلبة فيها يتهيئون لزيارة ضيوفه.

صحة الطلبة :

كان من علامات اجتهد (المطوع). أي مدرس الأولاد في مدارسنا القديمة أن يكون لتلاميذه صوت عالٍ بالقراءة، لأن ذلك كان يدل في أذهان الناس على أنه لم يفرط في وقت طلابه، وإنما جعلهم طول الوقت ينشغلون بالقراءة وأذكر أن المدرسة أو الكتاب الذي تعلمت فيه كان (المطوع) وهو المعلم. يأمرنا بأن نرفع أصواتنا بالقراءة، وكل تلميذ له شيء يقرأه غير ما للآخرين، حتى إذا أحس أننا قد فترنا قال: (صجوا صحة الطلبة) أي: صجوا بالقراءة لأنكم ستخرجون من المدرسة هذا اليوم قريباً.

ذلك ماتبادر إلى ذهني عندما وصلت إلى مدرسة الدعوة والإرشاد فقد كان لطلابها أصوات مرتفعة مختلطة بالقراءة، وذلك لأنها في مكان ضيق جداً. مؤلف في الأصل من قاعة واحدة. ففصل مديرها بين الفصول بألواح من خشب كبيرة. مرفوعة عن الأرض كالسبورات، وظلت أصوات الطلاب ومدرسيهم في كل فصل تشوش على الآخرين.

وقال الشيخ مصطفى: إن مدرستنا هذه كما ترون صغيرة جداً ومزدحمة ولذلك جعلنا ثلاثة فصول منها خارج هذا المكان، ولكننا الآن لدينا مشروع بناء مدرسة كبيرة حديثة سأوريكم إياها بعد ذلك.

وقد لاحظت أن أغلب طلابها. هم من كبار السن بالنسبة إلى مرحلة الدراسة فيها، وهي المرحلة الابتدائية، وجميع الطلاب فيها على رؤسهم (الطواقي) البيض، وقال الشيخ مصطفى: إننا نلزمهم بذلك لأنه ليس من الوقار أن يكون العالم أو الإمام مكشوف الرأس، وأذكر أن هذه النظرة موجودة أيضاً في شرق إفريقية، فقد رأى الشيخ أحمد مشهور الحداد أحدنا عندما كنا في أوغندا عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م يمشي حاسراً. فنصحته بلطف ونهاه عن ذلك، وقال: لا يجوز للعالم أن يكون حاسر الرأس كما يفعل العوام، وقال: إن الطالب يدفع للمدرسة عشرين نيرة سنوياً.

والكتب الموجودة بأيدي الطلبة عندما دخلناها كلها عربية.

وغادرنا المدرسة قاصدين ناحية أخرى من المدينة، ومررنا بمحطة لبيع المحروقات. فسألنا بهذه المناسبة عن قيمة (البنزين) فأجابوا بأن (الجالون) يباع بسبعين قرشاً.

مع أن نيجيريا من البلاد المصدرة للنفط.

وقابلتنا بعض النسوة يحملن على رؤسهن أوعية مليئة بالماء، وهن يمشين رويداً في شارع مزدحم بالسيارات، وقال الشيخ مصطفى: إنهن ممن لم يدخل الماء في بيوتهن، أو ممن انقطع عنهن الماء لأنه ينقطع في بعض الأحيان.

ورأيت أتربة جافة في الشوارع. حتى إن بعض السيارات إذا مرت عليها بسرعة أثارتها عجلاتها، وهي بهذا المظهر الجاف تشبه بعض البلاد العربية، غير المطيرة، فسألت عن موسم الأمطار فقالوا: إنه يحل في آخر هذا الشهر الحالي شهر مارس أو أول الشهر القادم شهر أبريل، وقال الشيخ مصطفى إن فصل الجفاف الذي نحن في آخره قد استمر حوالي ثلاثة شهور.

وسفلتة الشوارع التي مررنا بها رديئة، والأرصفة فيها معدومة، ومجاري المياه على جانبي الشارع ظاهرة القذارة.

أما البيوت فإنها إسمنتية ذات سقوف أوساطها مرتفعة لينزلق عنها المطر. دون أن تصل إلى حد التسنيم، ورأينا حماراً غير جيد النوع، وهو أول حمار نراه في افريقية التي مررنا بها كلها حتى إنني سألت الشيخ سليمان منصري في ليبيريا، وهو من أهل سيراليون: عما إذا كان الحمار يوجد عندهم، لأنني لم أشاهده في القرى والأرياف رغم كثرة الأعلاف، فأجاب: أنه لم يشاهد الحمار إلا عندما وصل المملكة، وأنهم في بلادهم لا يعرفونه، وربما كان السبب في عدم وجوده في المناطق الاستوائية. هو وجود حشرات أو أمراض لا يستطيع مقاومتها.

وعلق الشيخ مصطفى على استغرابنا لمنظر هذا الحمار الوحيد بأن قال: إنه لا بد أن بعضهم أحضره من شمال نيجيريا. أما في المناطق الجنوبية فإنه غير موجود.

وإذا تركنا الحمار وشأنه، ونحن سنفعل ذلك. فإن الجمل هو وسيلة قوية للحمل، وهو مصدر ضخّم للحم. الذي لا يكاد يصل إلى أكله إلا القلة القادرة من أهل هذه البلاد الإفريقية الغربية الخضراء المطيرة. وذكره هنا قد يتبادر للذهن، وقد يتبادر للذهن أيضاً أن الجمل خلق للصحراء، وأن أنسب الجواء إليه هو الجو البعيد عن خطوط الاستواء، فإننا لا بد من أن نتسأل عن السبب في ذلك، وعما إذا كان ذلك لشيء في الطقس لاحيلة فيه، أم لشيء في حشرات هذه البلاد أو حشائشها، فذلك قد تكون له حيلة تمكن أهل هذه المناطق من اقتناء هذا المصنع الضخم. الذي يحول الحشائش التي تضايقهم في بعض الأحيان حتى يضطروا إلى حرقها إلى لحم وشحم فضلاً عن الجلد والعظم.

ووصلنا إلى حي يدعى (اسولوا) فيه المقر الجديد لمدرسة الدعوة والإرشاد، وما هو تابع لها من إنشاءات أخرى، ومن ذلك أرض مخصصة لبناء المسجد داخل السور الخارجي لها، ومساكن للمدرسين قد قاربت التمام، وكذلك بناء المدرسة قد قارب التمام أيضاً، وهو ذو فصول واسعة، مؤلف من طبقتين بالإسمنت المسلح، ويتبع ذلك أرض واسعة. ولديهم أرض يقولون إنهم قد خصصوها لیبنوا عليها مهاجع للطلبة.

وقال الشيخ مصطفى إننا بنينا ما بنيناه بمساعدة من جهات مختلفة منها تاجر نيجيري، وتاجر عراقي مقيم في نيجيريا، ووزارة الأوقاف العراقية.

ورأيت في هذا المكان جماعة من حوالي ثمانية أشخاص. واضح أنهم من الغرباء ليس بسبب لونهم فهم في سواد النيجيريين أو أكثر ولكن تقاسيم وجوههم أقرب إلى التقاسيم العربية، وزاد الأمر غرابية حين سمعهم يتحدثون بالعربية بلهجة سودانية. فسألته عما إذا كانوا من السودان فأجاب: لا، إنهم من تشاد كانوا من الذين هربوا من الحروب والاضطرابات، وأقاموا هنا في عشة حملها الاغصار بعيداً ودمرها. فجاءوا إلى هذا المكان عندما عرفوا أنه بناء مدرسة إسلامية. فسمحنا لهم بالبقاء هنا من أجل حالتهم، ولأن وجودهم يكون بمثابة الحراس.

وقد تحدثت إليهم بالعربية. فأكدوا ذلك ووجدت مع أحدهم آلة خياطة (مكيئة)، وهو يخط قميصاً نسائياً، فسألته عن أجره خياطته؟ فأجاب إنها عشر نيرات.

ولم أكن أصدق ذلك فعشر نيرات تساوي عشرين دولاراً، وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى أجره خياطة مثل هذا القميص (الفستان) في بلادنا.

وتأكد في ذهني ماسبق أن انطبع فيه. من أن المشكلة في إفريقية الغربية هذه ليست في عدم وجود العمل. ولكن المشكلة في عدم محبة الناس للعمل، وإيثارهم الراحة عليه، أو جهلهم بالطرق الصحيحة فيه.

ثم عدنا إلى الفندق في الساعة الثانية عشرة والنصف ولم أر الزحام شديداً كما كنت قد سمعت عنه من قبل.

ومن الأشياء الموفرة التي رأيتها وأنا في السيارة. فتقزرت نفسي. أن أحد العمال كان يريد إسمنتاً أو غيره ولكنه شيء فيه الحصباء فكان يأخذ بسطل معه ماء من ماء المجاري الموجود في الشارع، وينثره بقوة على هذه الحصباء، فتنتشر من ذلك رائحة قبيحة تؤذي المار ولو كان في سيارة مسرعة.

وكان الغداء هذا اليوم على مائدة الأستاذ الكريم عمر الخزيم القائم بالأعمال في السفارة السعودية إذ السفير ليس موجوداً الآن في نيجيريا، وكانت في شقة من عمارة في حي (ايكوي). الذي هو الحي الثاني من حيث الرقي في لاجوس بعد حي (فكتوريا ايلاند) الذي فيه السفارة.

وعلى مائدة الغداء أخذ الأستاذ عمر الخزيم يعتذر بعدم وجود أهله معه الآن، وبأنه إذا كان في صنع الطعام تقصير. فإن ذلك من الطباخ الذي لم يتمرن تمرناً كافياً على طبخ الطعام العربي، ولم يكن في الطعام قصور، وكان متعدد النوع، كثير الكم، على طريقة قومنا العرب في الاكثار من الطعام وحضر المأدبة الأستاذ إسماعيل صفيطة من موظفي السفارة، وهو من أهل مكة المكرمة، ونعم الرجل هو في النخوة والشهامة، ومساعدة إخوانه السعوديين الذين يصلون إلى هذه البلاد. كما حضرها اثنان من العاملين في مكتب الملحق الديني في نيجيريا وهما الأستاذ عبدالعزيز بن قعود والأستاذ عبدالعزيز الملحم.

أما العشاء فإنه كان في مطعم الفندق، ولكنه كان غالياً، وكانت خدمة العاملين فيه سيئة وقد كتبوا سعر الوجبة بعشر نيرات ونصف أي: واحد وعشرين دولاراً بصرف الفندق، ويساوي ذلك واحداً

وسبعين ريالاً سعودياً، ومع ذلك كتبوا في الإعلان عن الطعام: إن شربة اليوم والحلوى داخلة في هذه القيمة. ووجبة الغداء المعتادة مثل ذلك، وأما الإفطار فهو بأربع نيرات ونصف أي تسعة دولارات أمريكية، وتعادل ثلاثين ريالاً سعودياً.

ومع ذلك فالفندق لا يقبل أن يسكن أحداً إلا بعد أن يدفع قيمة الغرفة للأيام التي سيقوم فيها مقدماً. مع مبلغ جيد بمثابة الاحتياط لما قد يتناوله من طعام في الفندق بمعدل يومي يزيد وينقص حسب الأيام التي سجلها.

فیبلغ مجموع قيمة الأكل دون الأشربة الأخرى الضرورية. مثل الشاي والقهوة مائة وسبعين ريالاً في اليوم.

يوم الثلاثاء : ١٨/٥/١٤٠١ هـ - ٢٤/٣/١٩٨١ م.

إلى الجامع المركزي :

يقع هذا الجامع في وسط مدينة لاجوس القديمة. لذلك تكون زيارته هي في الوقت نفسه زيارة لجزء من هذه المدينة القديمة، وبعدها السفر أو على الأدق الخروج من لاجوس إلى مدينة (اجيجي) لزيارة مركز التعليم العربي الإسلامي في تلك المدينة.

كان الرفقاء في هذه السفرة، وهذه الرحلة الأخوين الزميلين في الوفد الشيخ إسماعيل بن عتيق والشيخ عبدالعزيز الربيعان، ومعهما الشيخ مصطفى زغلول سنوسي.

وكانت وسيلة الانتقال هنا هي سيارة المكتب الديني السعودي في لاجوس.

كان أول ما لفت نظري عندما خرجنا من حي (فيكتوريا ايلاند) الذي يقع فيه فندقنا هو عدم الزحام الشديد الذي قرأت أخباره عن ضيق مدينة لاجوس، وكثرة ازدحام السيارات في شوارعها فصحيح أنها ليست بذلك متفوقة على غيرها من المدن الشهيرة بالازدحام، وهي أقل بكثير من الازدحام بالسيارات الموجودة في مدينة الرياض بالنسبة إلى المساحة التي تشغلها مدينة الرياض، وبالنسبة إلى عدد سكان الرياض.

ولكن الناس هنا لايتعاونون كثيراً في تسهيل المرور، ولذلك تسمع أبواق السيارات كثيراً عند التجاوز. أو تغيير الاتجاه ذات اليمين والشمال. إضافة إلى الحر والرطوبة التي ترهق الأعصاب، وإلى غلاء الوقود رغم كون البلاد تصدر النفط.

ومن الأشياء اللطيفة هنا أنني رأيت قوماً قد انتظموا في طابور كالصف واحداً بعد الآخر عند ركوب الحافلة العامة.

المتحبة الوحيدة،

من لطائف المصادفات أيضاً أننا كنا نتحدث مع أخينا النيجيري الذي معنا، وهو الشيخ مصطفى زغلول. عن كتاب له كان قد طبعه منذ سنوات عن الحجاب بعنوان (المرأة بين الحجاب والسفور)، وإذا بنا نرى امرأة إفريقية متحبة بحجاب كامل ساتر وجهها ورأسها، وهي المتحبة الوحيدة. التي رأيناها في كل غرب إفريقية الذي زرناه.

والمراد بالحجاب هنا تغطية الرأس والوجه.

ومررنا ببناء عال جديد قال لنا الشيخ مصطفى: إنه لطائفة من طوائف النصارى الكاثوليكين، وإنه كان منزلاً صغيراً فهدموه وبنوا مكانه هذا البناء الشامخ الذي يدر عليهم دخلاً شهرياً ثابتاً.

ومن المفارقات أن هذا البناء الذي يقع في منطقة مليئة بالعمارات العالية أمامه مستنقع أخضر من مياه المجاري طفق من أحد مجاري المياه الجانبية، ولم يجد من يعمل على إزالته.

كان خروجنا مبكراً إذ كان بعد الثامنة بقليل، وهو وقت ذهاب الناس إلى أعمالهم. فترى بعضهم راجلاً، وبعضهم يحاول أن يصعد إلى الحافلة، وكلهم إلا قليلاً عليهم اللباس العالمي المخفف المسمى بالإفرنجي وهو القميص والسروال السميك، وعلى النساء أيضاً لباس مخفف مثله. أما النساء الأخريات الموجودات في الشوارع فإن بعضهن يرتدين الملابس الإفريقية المكومة.

ومررنا والسيارة تسرع في السير ببناء في باحته نافورة، وهو في وسط سكاني راقٍ. فقالوا: إن هذا هدية من الجالية اللبنانية إلى حكومة نيجيريا قدمته بمناسبة استقلال البلاد.

اللبنانيون في نيجيريا:

بهذه المناسبة نقول كما قال لنا العارفون بالأمور في هذه البلاد: إن اللبنانيين يعتبرون الجالية الاجتماعية الأولى. التي تملك من أسباب التجارة في البلاد. أكثر مما يملك غيرها، ولهم معامل ومصانع ومتاجر كبيرة وشركات.

وكانوا قبل ذلك أوسع تجارة. إلا أن الحكومة النيجيرية حظرت عليهم مزاولة بعض الأعمال التجارية التي يستطيع النيجيريون مزاومتها.

ويقولون: إن النيجيري الثري أو الموسر إذا استطاع أن يجعل أحد التجار اللبنانيين يشاركه في مشروع تجاري، يتولى اللبناني إدارته فإنه يعتبر نفسه ناجحاً، ويعتبره النيجيريون (شاطرًا).

وكان في لاجوس شارع يسمى بشارع لبنان. لكثرة المتاجر اللبنانية فيه.

وهذه المكانة للبنانيين ليست مقتصرة على نيجيريا وحدها. بل إنها في جميع أنحاء إفريقية الغربية التي زرناها، ورغم أنها الآن ليست في توسع لأن الحكومات الإفريقية لاتسمح بمجئ مهاجرين أو تجار جدد إلى بلادها. فإن الذين كانوا موجودين فيها قبلا لا يزالون يسهمون في التجارة بشكل نشط مؤثر.

ومما ساعد على ذلك أن كثيراً من الأجانب - وبخاصة من الأوروبيين - لم يستطيعوا أن يتحملوا فورة القومية الإفريقية في أول عهد البلاد الإفريقية بالاستقلال. فغادروها أو غادرها أكثرهم، وذلك لأن لديهم في بلادهم مجال عمل واسع. بخلاف اللبنانيين الذين كانت بلادهم تسوء بسبب الاضطرابات الداخلية ثم الحروب الداخلية.

وحتى الآن قال لي أحد اللبنانيين الناجحين في غانا، ويمتلك مصنعاً كبيراً: إننا نعاني هنا من مشكلة لا يعاني منها الأوروبيون ألا وهي مقاومة أي ظلم أو ضيم قد يقع علينا لأن الأوروبيين لهم

حكومات قوية تحميهم وتتدخل لصالحهم، وأما نحن فإن حكومتنا ضعيفة في بلادنا، ولا تفيدنا في هذه البلاد بشيء في هذا المجال، ولذلك يعتمد كل واحد في هذا الأمر على شطارته، وعلى ما يكسبه من صداقات شخصية من أهل البلاد.

على أنه مما ينبغي أن يسجل لأهل هذه البلاد الإفريقية. كونهم لم تحملهم العنجهية الوطنية، والحسد على إخراج هؤلاء الأجانب الذين يخالفونهم في اللون والعنصر. وطردهم من البلاد طرداً صريحاً بالجملة، كما أنه لم تصدر ثرواتهم كلها. بحجة أنهم قد اكتسبوها من هذه البلاد، ولم يأتوا إليها بشيء من المال.

السقاء :

من المناظر الطريفة في هذا الحي النيجيري التجاري الراقى. أن رأيت سقاء يحمل على كتفه صفيحتين من الماء. قد علقهما في عصا غليظة. فأصبحتي الميزان كما كان السقاؤون عندنا في مكة المكرمة يفعلون في الزمن القديم، وهو بعمله هذا يعرض الماء للبيع لمن يشتريه.

ولا ينبغي أن يظن ظان أن هذا قاعدة عامة في لاجوس. أو حتى في مدن نيجيريا الأخرى. فالأمر خلاف ذلك، والماء قد دخل إلى أكثر البيوت والعمارات فيها، ولم أشاهد إلا هذا الشخص الواحد الذي يبيع هذا الماء في هذا السوق، ربما لمن تكون له حاجة طارئة إلى الماء.

في سوق شعبي :

ووصلنا إلى سوق شعبي راق، وليس كالأسواق الشعبية التي تكون في القرى الإفريقية. أو حتى في الأحياء الشعبية في غانا مثلاً فهو هنا

غني بمعروضاته، وفيها أشياء غالية أو نادرة. مما هو من انتاج محلي، أو مستورد من الخارج، ومن مخالفاته للأسواق الشعبية الأخرى. أن معظم البائعين فيه من الرجال، وليسوا من النساء. إضافة إلى أنه ليس سوقاً لما يؤكل أو يطبخ.

فمن معروضاته مثلاً المر، وهو الدواء الذي كان يتداوى الناس بأكله في بلادنا، ولبان محلي يبيعون بعضه مع قشور لحقته من شجره ويبيعونه بالكيل وليس بالوزن، وليس هذا ببذع من الأمر إذا عرفنا أن اللحم يباع جزافاً دون وزن، ولبانهم أقل جودة من لبان الصومال. وسبح جمع سبحة، ومصاحف وطواق - جمع طاقية مختلفة الأنواع والألوان - وعطور هندية، وعنبر مجلوب من الهند أو باكستان. إلى جانب الأقمشة، وبعض الآلات الكهربائية. كالمرواح الكهربائية التي لاحظت أنه معروضة في هذه البلاد بكثرة، وذلك لقدرة البلاد على الاستيراد. والحاجة إليها لتبديد الرطوبة الحارة فيها، وهذا السوق يقع حول الجامع المركزي، ولذلك وجدت فيه هذه الأشياء التي لها علاقة بالدين مثل المصاحف والسبح.

وتحت حائط الجامع المركزي من جهة الشمال. وجدنا جمعاً كبيراً من الحلاقين والحجامين. قد جلسوا على حصر فوق الرصيف تحت جدار المسجد، وبعضهم يعمل، وأكثرهم قد مدوا أرجلهم، وهم يتحدثون يبحثون عن يخلقون أو يحجمون، ومن المؤسف أن في الزقاق الذي فيه المسجد مثلما في غيره من الأزقة والشوارع مجرى مياه من المياه المستعملة ويستعمل لتصريف مياه الأمطار أيضاً، ولكنهم غطوا مايلي الجامع بألواح من الخشب إلا أن التغطية ليست كاملة.

الجامع المركزي :

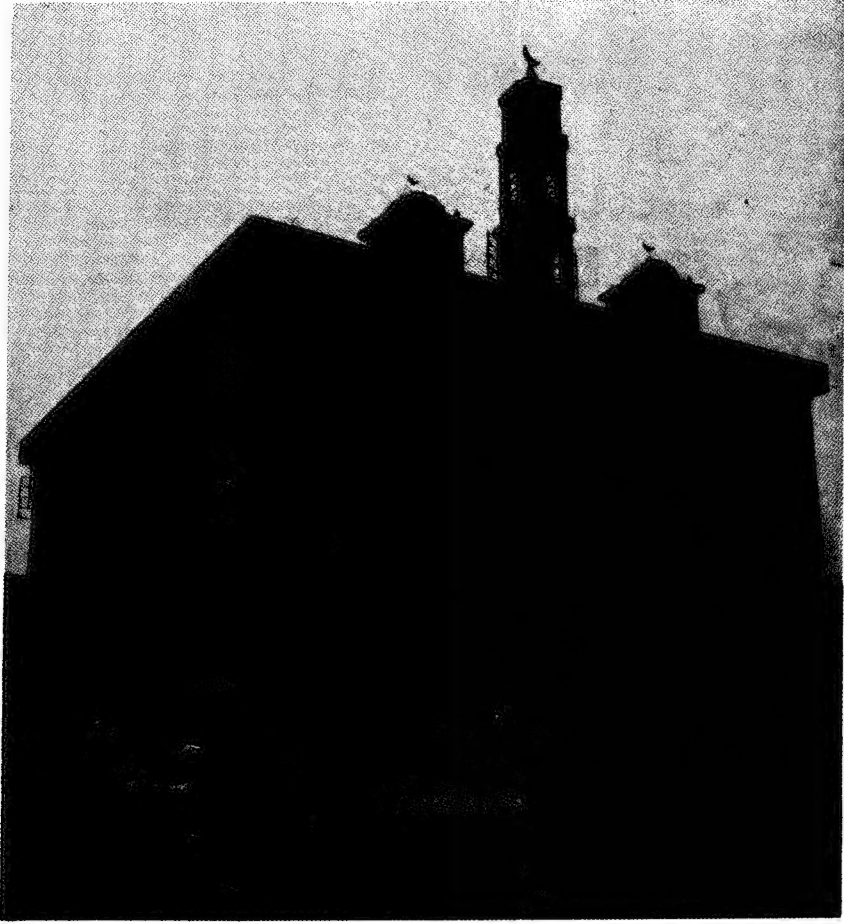
وهو غريب البناء بالنسبة إلينا في الشرق العربي. إذ أول ما يقابلك منه على البعد مناراته أو صوامعه. كما يعبر عنها أهل المغرب المربعة الشكل. التي كلما ارتفعت ضاقت. لكونهم قد بنوا القسم الأعلى كله مستقيم الحوائط مثل الذي أسفل منه إلا أنه أصغر.

وفي مقدمة المسجد قسم منه مغلق لا يفتح إلا يوم الجمعة، وأما باقي المسجد فإنه مفتوح وأبوابه ونوافذه كبيرة عالية. وهي من الخشب الجيد المنقوش، وفوق النوافذ أهلة من زجاج ملون. أي: أجزاء لا تفتح وإنما يدخل منها الضوء وللزينة.

وفي المسجد عندما دخلناه أناس كثيرون. بعضهم يصلون وهم الأقل أما الأكثر فإنهم جالسون أو يقرأون أو نائمون، وقد جلسوا الجلسة المفضلة في هذه البلاد الإفريقية، وهي جلسة الرجلين الممدودتين.

وسقف المسجد عال ضخم على شكل سنام. محمول على دعائم قوية من الأخشاب، وأما عمدته فإنها إسمنتية أو حجرية غليظة قوية، وفوق الأعمدة أقواس عربية الطراز. أما بلاطه فإنه مؤلف من لونين غريبين في بلادنا، وهما الأحمر مع الترابي أو السنجابي - كما يعبر عنه حديثاً.

وفي آخره قسم للنساء.



الجامع المركزي الجديد في لاجوس

والمسجد على وجه الاجمال واسع، ولكن ليس بمقدار سعة هذه العاصمة الكبيرة. التي يكاد يكون من المؤكد أن نسبة المسلمين في سكانها تفوق نسبة غيرهم من المسيحيين، والأديان الأخرى، إلا أنه في حي قديم مزدحم وربما تصعب توسعته، وتوجد مساجد أخرى كثيرة تقام فيها صلاة الجمعة.

وخرجنا من هذا المسجد عجلين، نحاول أن نجد شخصاً مسئولاً نستوضحه من أمره شيئاً. فدلنا أحدهم على مكتب قرأنا عليه أنه لخدمة الحاج، وتبين أن الأمر كذلك عندما دخلناه.

وخرجنا لنرى الحجامين والحلاقين مرة ثانية، وجانباً من السوق، ورجلاً في هذا السوق المزدهم منهمك في أكل العصيدة.

أما النساء في هذه المنطقة فإن أكثرهن عليهن الملابس الوطنية. الساترة.

وتركنا هذا الحي من مدينة (لاجوس) القديمة مع شوارع فيها عمارات إسمنتية متعددة الأدوار. كما يكون في سائر المدن خارج القارة الإفريقية، وشوارعها ليست ضيقة، ولكنها تضيق بالسيارات التي لم تكن بالغة الكثرة.

حتى وصلنا محطة للقطارات تسمى (محطة إيدو). لأنها واقعة في حي يسمى بهذا الاسم.

ومع الوصول إلى أول هذا الحي بدأ سوق طويل مشهور في كل لاجوس اسمه (سوق إيدو) فيه البائعون والبايعات، وفيه من البضائع ما هو غال نفيس كثير الكم، وما هو رخيص، وقد ظل هذا السوق يماشينا ونحن ننظر إليه من سيارتنا لمسافة تزيد على كيلين اثنين.

وقبل ذلك كنا قد اجتزنا جسراً على خليج من الماء الملح. هو أحد الخلجان المحيطة بجزيرة لاجوس، ومع المحطة عند الدخول إلى حي (إيدو) هذا كان هناك عشرات من الحافلات العامة (الأتوبيسات) ذات

اللون الأصفر التي تنقل الجمهور، وقد رأيتها كثيرة كثرة ملفنة للنظر،
ليس الازدحام داخلها بالغاً كما هي في مصر مثلاً.

ومن طريف ما رأيته فيها أن امرأتين كانت كل واحدة منهما تحمل
على رأسها حملاً من متاعها أسرعتا وهما ترجوان السائق أو الجابي
أن يوقف الحافلة. حتى تصلا لأنهما لاتستطيعان الركض، وهما
كذلك ثم دخلا الحافلة، ومتاعهما على رأسيهما.

وسرنا وسار هذا السوق الشعبي يماشينا، وكان يمتد وتتنوع
محتوياته. مع أننا كنا نسير بالسيارة. فكان من ذلك الخضروات
بأنواعها ومن ذلك أنواع غريبة من البصل الأحمر اللون، ومطابخ
الطعام، وفيها القدر تحتها الاخشاب، وهي توقد والناس يشترون
ويأكلون.

أما الشارع فإن سفلته ضعيفة، وأرصفته ترابية، والنظافة فيه
ليست بذاك.

واستمر السوق يماشينا صاخباً بأصوات الناس، وباعة الأشرطة
المسجلة. الذين كانوا يجربون أشرطةهم أو ماسجل عليها للناس.

وكانت بعض المتسوقات من النساء يحملن أولادهن على ظهورهن
بخرق مشدودة إليهن. كما تفعل أكثر الإفريقيات، وهن يبعن أو
يشترين.

وبعد أن خرجنا من هذا الحي ذي السوق الشهير (سوق ايدو)
وصلنا إلى حي اسمه (أبو تميتا) فيه عمارات إسمنتية أغلبها من
طابقين ألوانها غير بهيجة، والشارع العام مزدحم بالسيارات لايتسع
لمرور أكثر من سيارتين في آن واحد.

وكان السير منه يفضى إلى (كورودو) ثم إبادان. ومن الغريب أنهم غرسوا طائفة من نخيل الزينة التي لا تثمر، وتركوا نخيل الزيت وأشجار النارجيل على ثمرهما وفائدتهما.

ومررنا بحي يقال له (يابا)، وقد أقاموا فيه لمرور السيارات جسراً عظيماً من الإسمنت المسلح. لاشك أنهم قد خسروا عليه كثيراً حتى أصبح بهذه المثابة.

وتحت هذا الجسر العظيم. الذي لا يكون عادة إلا في المدن الكبيرة. من البلدان المتقدمة في الإدارة أكوام من الأوساخ والنفايات لا يكون إلا في المدن الصغيرة المهملة في البلدان المتخلفة.

ووقفنا بالقرب منه عند بائعة في (كشك) صغير. أكثر ما فيه مأكولات خفيفة كالبسكويت والمكسرات. فاشترينا منها زجاجات من المشروبات الغازية. كانت منها البيبسي كولا بـ ٣٠ كوبيو للزجاجة الواحدة، ويساوي ذلك أكثر من نصف دولار بالصرف الرسمي، أو ريالين سعوديين، وهو سعر غالٍ جداً إذا قورن بسعرها في المملكة.

ثم سرنا مع شارع واسع جداً مقسم إلى عدة مسارات للقادم والذاهب مثل ما يسمى باللاستراد. يمتد إلى مدينة إبادان. فوقه جسور للمشاة عالية، رأيت كثيراً منهم يستعملها عندما يريد قطع الشارع لأن عدد السيارات كثير، وهي تسير بسرعة بحيث يكون قطع الشارع للمشاة صعباً جداً.

وخرجنا من مدينة لاجوس القديمة إلى حي يسمى (ميرلاند) فيه دارات (فيلات) جميلة غارقة في الأشجار. إذا كنت فيه لاتصدق أنك

في الذي قبله في محيط مدينة واحدة. لأنه أخضر خضرة منسقة، وأشجاره الكبيرة بأسقة نضرة. بل فيه بعض الزهور التي لم أر الناس هنا بصفة عامة يحفلون بوجودها، أو يهتمون بغرس نباتها.

وأكثر الأشجار الكبيرة الباسقة فيه هي العمبة (المانجو) والأثل الأمريكي (الجزورينا) ونخيل الزيت.

ومن حي (ميرلاند) هذا دخلنا إلى حي فاخر أيضاً اسمه (أكيجا) وهذه الأحياء هي بالضواحي المنفصلة أشبه منها بالأحياء المتصلة غير أنها في الحقيقة أصبحت أحياء متصلة بسبب انتشار العمارة في العاصمة لاجوس. أو تمددها إلى عدة جهات، ومنها هذه الجهة التي فيها هذان الحيان الجميلان، ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن المنازل مرصوفة. بينها وبين المدينة فهذا غير صحيح، ولكن هناك منازل ذات حدائق واسعة، وأماكن لشركات، ودوائر حكومية، وأماكن لبعض الأثرياء ليس فيها بيوت متلاصقة.

وأهم ما يسترعي انتباهك في هذا الحي المنسق الجميل (أكيجا) ملعبه الشهير (ملعب أكيجا)، وقد فرشت أرضه بالحشيش الأخضر الجميل. الذي ليس فيه من الأشجار الكبيرة غير نخيل الزيت.

وتركنا هذا الحي، وملعبه منحرفين من عنده جهة اليمين. جاعلين المطار القديم على اليسار، ثم سرنا مع شارع واسع ذي اتجاهين حتى دخلنا مشارف:

مدينة أجيجي :

وهي مدينة كانت لها شهرة سابقة، وتصور في ذهني غير ما وجدتها عليه، لقد عرفت مدينة (أجيجي) أكثر ما عرفتتها من معهدها الشهير (مركز التعليم العربي الإسلامي) إذ كانت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. عندما كنت أعمل فيها قد قبلت في وقت مبكر عدداً من المتخرجين في المعهد التابع للمركز، وقد أنهوا دراساتهم الآن وغادروا الجامعة الإسلامية، ولكن أخبار هذا المعهد. أو على الأدق هذا المركز الإسلامي العريق لاتنقطع عن اسماع مثلي من المهتمين بالشئون الإسلامية والعاملين في ميدانها.

أول شيء بل ربما تقول أول أشياء تراها من مدينة (أجيجي) تشعرك بأنك تدخل مدينة إفريقية حقيقية، ليس لغير الإفريقيين فيها نصيب، إذ ترى سوقها أول ماتراه منها، والباعة فيه والبضائع أو بعضها تدلك على ذلك، ومنها حزم من الحطب الذي به يوقدون. إلا أن البضائع الإفريقية التقليدية فيه. قد خالطتها بضائع أخرى مستوردة لم يكن السوق الإفريقي العريق يعرفها قبل فترة من الزمن مثل المراوح الكهربائية. التي كانت معروضة بشكل ظاهر وبمقادير كبيرة، ومثل أجهزة الاستقبال الاذاعية والمسجلات.

وهذا السوق فيه حوانيت شبيهة بالمؤقتة لأنها متخذة من الخشب ومسقفة بالزنك، وأحياناً مسقفة بالخشب دون شيء آخر، وفيه إلى جانب ذلك بضائع في بسطات. أي: من البضائع التي يعرضها أصحابها على الأرض مباشرة.

وهذا الشارع الرئيسي الذي هو في الوقت نفسه السوق الرئيسي للمدينة نظافته مفقودة، فجداول المجاري موجودة على جانبيه. كما هي

الحال في أكثر المدن الإفريقية التي زرناها. بل في أكثر البلدان الاستوائية. إذ هي موجودة في مدينة بانكوك عاصمة تايلند. على سبيل المثال، ولكن المشكلة هنا أن البلاد قد بعدَ عهدِها بالمطر، والحكومة مهملّة فصارت هذه المجاري لا تجري فيها المياه كما ينبغي. بحيث تكون متحركة. بل ظلت تتحرك بصعوبة. إن كانت تتحرك بالفعل. لأن المرء يراها كأنها راكدة أسنة متغيرة اللون من المكث إلى جانب تغير لونها بطبيعة المياه المستعملة فيها، ولو كان الأمر مقتصرًا على قذارة هذه المجاري على كونه مكروهاً لكان يمكن تعليقه بطول عهدِها بالأمطار التي كان موسمها قد توقف منذ ثلاثة أشهر، ومن المتوقع أن يبدأ في أول شهر إبريل القادم، ولكن هناك أشياء أخرى تدل على الإهمال، وعدم اعتناء المسؤولين عن المدينة بالنظافة، وذلك ماثل في أكوام كثيرة من القمامة متروكة في هذا الشارع الهام، وكأنما كان عمال البلدية هنا في إضراب كما كانوا في (غانة) حسبما أخبرنا به أهل غانة.

ولذلك يتضايق السائح الذي تلتقط عينه من المناظر ماتتجاوزه عين المقيم التي تكون قد ألفت تلك المناظر كما تلتقط حواسه الأخرى أشياء ربما لا تلتقطها حواس المقيم، ومن ذلك عدة روائح غير محببة تبادرت مجتمعة ومتفرقة إلى أنفي، بعضها من قنوات المجاري، وبعضها من أكوام القمامة التي أصابها ماء لأدري مم هو، وبعضها من أنابيب الدخان المنبعثة من الحافلات التي يزدحم بها هذا الشارع الطويل.

ومن البضائع الإفريقية البارزة في هذا السوق الذي يحفل بمئات من البضائع الهامة. عناقيد الموز الضخمة، وكسر من الخشب. تباع للفقراء بمقادير ضئيلة للوقود، والمصابيح التي توقد بالغاز، أو ما يسمى

بالكيروسين، وتستعمل في القرى، والأماكن التي لم تصلها الإضاءة الكهربائية، وأحذية متنوعة. بعضها من مصنوعات نيجيريا، ومقاعد جيدة. منها مقاعد للحدائق والجلسات المسترخية، والمراد بالمقاعد هنا الكراسي.

دكان القرآن :

من لطيف مآرائته في هذا الشارع حانوت مكتوب عليه لافتة بالعربية. بشكل بارز واضح تقول بالحرف الواحد: (دكان القرآن).

ويبيع صاحب هذا الحانوت أو الدكان كما كتب عليه مصاحف كريمة وكتباً عربية وأجزاء قرآنية كريمة.

وليس هذا الحانوت ببذع من الأمر. ففي كثر من المدن الإفريقية توجد محلات صغيرة لبيع المصاحف الكريمة، والكتب العربية الصغيرة ومنها كتب الأدعية والأوراد.

إلى مركز التعليم العربي الإسلامي :

تركنا هذا الشارع العام الهام الطويل الملى بالناس الذين هم من الشعب الإفريقي الأصيل، وكلهم أو جلهم من قبيلة (يوريا). أهم القبائل التي تقطن في غرب نيجيريا، بل إن بعض أفرادها يعيش أيضاً في بلاد بنين (داهومي سابقاً).

وانحرفنا إلى جهة اليد اليسرى. مع شارع فرعي فيه بعض الحوانيت، ولكنها ليست متصلة، وهو ضيق بالنسبة إلى الأول، ولكنه أكثر منه اهمالاً، وهذا طبيعي أن يكون الشارع الرئيسي أحسن حالاً من الشوارع الفرعية، وإن كان ذلك بالنسبة إلى سوء حالها بالنسبة إلى حسن حاله.

وهذا الشارع تحف به المجاري من جانبيه. وتنبعث منها رائحتها، وتطل على غير استحياء بساحتها، ويتظافر معها على أذى الناس أبناء عمها من القمام والأوساخ التي تركت أو ترك بعضها دون حمل أو إبعاد، ويكثر الدجاج في هذه المدينة. فيساعد على الفساد بتحريك هذه الأشياء القذرة بأرجله. فيزيدها التحريك فساداً، ويزيد بها الناس أذى.

وبعد أن قطعنا مرحلة من الشارع. صار المجرى الذي فيه عريضاً ضخماً، ولا أدري السبب. إلا أن يكون عدم الانحدار الذي يسبب الركود، ولكن من المفزع أنه مكشوف ومعرض لأن يقع فيه الطفل والعاجز والساھي. حتى إن بعض البيوت التي يمر من أمامها. قد وضع أهلها فوقه خشبة يمرون من فوقها إلى بيوتهم.

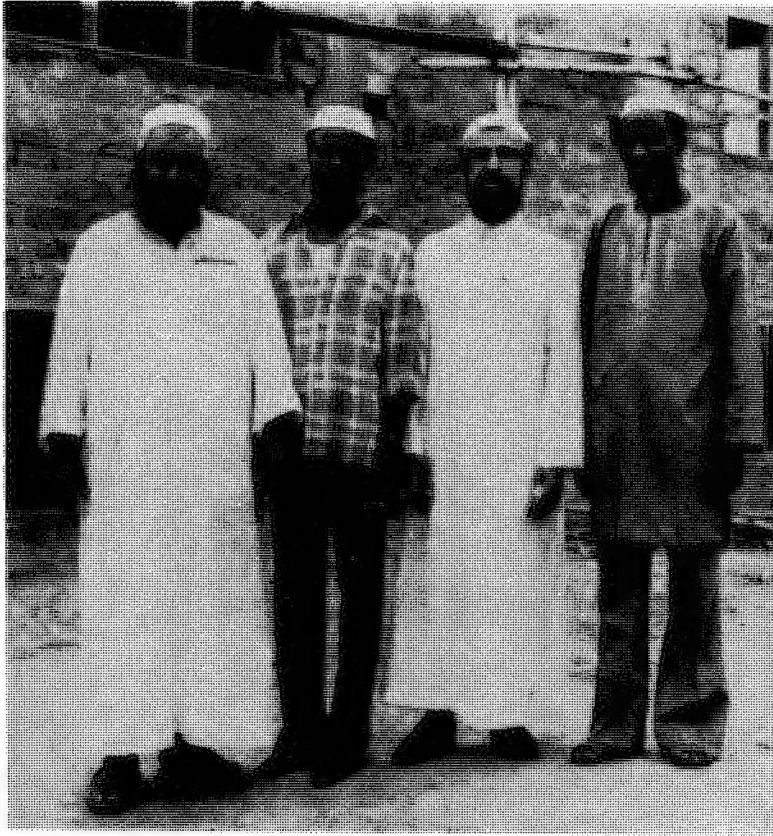
والغريب أن بيوت الأهالي هنا ذات مظهر جيد وبناء حسن، وهم انفسهم نظيفوا الثياب نظيفوا الأبدان. فكأن الحكومة أو الجهة المسئولة فيها عن نظافة المدينة وتنظيمها. قد عجزت عن أن تسائر طموح الأهالي، وتقدمهم مع أن العكس هو المفروض. إذ الطبيعي أن يكون القائمون على أعمال مثل هذه هم طليعة الشعب ومفكروه وإداريوه الذين يستطيعون أن يأخذوا بأيدي عامة الناس إلى ما يصبون إليه من التقدم والنظافة وإبعاد الأذى عنهم.

وتفرع من هذا الشارع الفرعي زقاق رديء الأرض مثل الشارع الفرعي الذي هو رديء السفلة فسلكناه حتى وصلنا.

مركز التعليم العربي الاسلامي :

الذي أنشأه الحاج آدم عبدالله الألوري، وهو عالم وأديب وإداري حازم، ومؤلف لعدة كتب باللغة العربية، بأسلوب أدبي راقٍ.

كان وقوف السيارة التي جئنا بها في فناء داخلي. واقع بين فصول الدراسة، والمسجد الجامع، وقد نظفوا هذه الساحة. مما اعتبروه غير مناسب من الأعشاب والنباتات الطفيلية فغدا ليس فيه عود أخضر على حين أن ساحاته الخارجية فيها أعشاب مثشابة. قد نبتت بدون زرع أو سقي، ولذلك رأينا فيها عدة شياه وما عز ترعى، ولكن منظرها يوحي بأنها هزيلة مع وفرة الأعشاب في المنطقة، ولا أدري السبب إلا أن يكون ما ذكره لنا بعضهم، وهو وجود بعض الأمراض التي تفتك بالماشية في هذه المناطق الاستوائية.



في مركز التعليم العربي الإسلامي في أوجيجي

واستقبلنا في المركز المساعد الأول للمدير الشيخ مشهود رمضان جبريل، والمساعد الثاني الشيخ عبد الباقي شعيب، وكلاهما يعرف العربية ويتكلم بها بطلاقة مع أن الأول تعلمها في نيجيريا، وأما الآخر فإنه أضاف إلى ذلك ماتعلمه منها في ليبيا.

جلسنا في غرفة واسعة فيها كتب. قالوا: إنها مكتبة وإدارة في الوقت نفسه، وكان في ركن منها بارز بعض المؤلفات التي طبعت حديثاً لمدير المركز ومؤسسه الشيخ آدم عبدالله الألوري، ومنها كتاب اسمه (تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم) وكلها كما أسلفت بلغة عربية أدبية.

وبعد ذلك جاء المدرسون فقدموهم واحداً واحداً، وكل واحد منهم عليه قميص مثل القميص العربية. التي علينا إلا أنها أقصر قليلاً، وفوق رؤسهم الطواقي، وأغلبها غليظة لونها أحمر أو أسود، وفي أعلاها زر واقف.

ثم ذهبنا في جولة على فصول الدراسة. فزرنا القسم الثانوي ويسمونه التوجيهي، ورأينا الطلاب كلهم في زي واحد. هو قميص أزرق غير طويل تحته سروال، وفوق الرأس كلها دون استثناء طاقية بيضاء.

وقد رأينا في الفصول كلها نظاماً جيداً، وأدباً جمّاً من الطلبة، وفصاحة بالعربية من المدرسين مما أعجبنا، ويدل ذلك كله على الإدارة الحازمة التي يتبعها الشيخ آدم عبدالله في هذا المركز.

وفي السنة الثانية الثانوية كان الدرس نحواً. فتكلمت معهم بكلمة قصيرة، وقلت في آخرها أسأل الله تعالى أن ييسر لكم أيها الطلبة أن

تنجحوا في دراستكم، ثم تكملوا دراستكم العالية في مكة المكرمة أو المدينة المنورة فنراكم هناك وهنا أرجوا أن نراكم مرة ثانية إذا قبلتمونا ضيوفاً. فضحكوا كلهم لهذه الجملة ضحكاً عظيماً، وهذا مثل آخر على لطف هؤلاء القوم من قبيلة (يوريا) وحبهم للنكتة والمرح.

وكان إخواننا المرافقون يقدموننا للطلبة من باب التعريف بالزوار فكانوا إذا سمعوا اسم الواحد منا كبروا، وإذا ذكرت المدينة المنورة أو مكة المكرمة زادوا في التكبير تكبيراً متواصلاً.

وفي فصول السنوات التي بعدها. تكرر التعريف والتكبير، وتكرر إعجابنا بما رأيناه فيها من نظام جيد، أو إدارة حازمة.

ورأيت فيما رأيته من المقررات كتاب (رياض الصالحين) للنووي مقررأ في مادة الحديث على طلبة السنة الأولى الثانوية.

وفي السنة الثالثة الاعدادية كان مدرس الفقه (داود عبدالمجيد) يلقي على الطلاب درسه، وكان معهم مقدمة العزية في الفقه المالكي الذي يتميز به أهل المغرب الإسلامي.

وأما السنة التي دونها، وهي الثانية الاعدادية فإنها في المسجد: مسجد المركز، وذلك لأنها لايتسع لها أي فصل من فصول الدراسة في المركز، وقد رأينا طلابها، ١٧٠ طالباً، ومقررهم في درس الحديث الأربعون النووية يشرحها لهم الشيخ (يونس سنوسي).

أما المسجد الجامع في هذا المركز. فإنه كبير مبني بالاسمنت المسلح القوي من طابقين، إلا أنه لم يكمل بناؤه بعد.

وقالوا: إنهم بدأوا بناءه قبل سنتين، وقال الشيخ آدم بعد ذلك: إن هذه التبرعات هي من جماعتنا، ولذلك لم نطلب مساعدات من بلاد خارجية. لأن أثرياء المسلمين من جماعتنا لا يبخلون علينا رغم أن المسجد يحتاج إلى اكمال البناء.

والحقيقة أن المسجد يدل على ذلك، بل المركز كله يدل على ذلك بمساحاته الكبيرة وبفصوله المزدحمة بسبب كثرة الطلاب لاسبب ضيقها، وهي مبنية بالإسمنت أيضاً.

وفي آخر المسجد وقفنا عند السنة الأولى الاعدادية، ووجدنا عندهم أستاذ المحفوظات، ومقررهم كتاب من تأليف الشيخ آدم مدير المركز اسمه (الفواكه الساقطة)، ويريد بالساقطة الناضجة. لأن كثيراً من الفواكه في بلادهم إذا نضجت سقطت من شجرتها.

وقد حرصوا على أن يظهر المسجد بمظهر عربي. فكانت أقواسه في وسطه عربية على شكل أهلة، ومقدمة أندلسية ذات أقواس على هيئة محاريب بعضها فوق بعض.

نصاحة اليورباويين بالعربية :

لقد كنت أعجب من الطلاب اليورباويين الذين كانوا يفدون إلينا لطلب العلم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما كنت أعمل في الجامعة حين أسمعهم يتكلمون العربية، ويلفظون بها وكأنهم العرب أو الذين مضى عليهم عهد طويل، وهم لا يتكلمون إلا العربية.

وليسوا مثل بعض الأعاجم من أهل الشرق القريب كالأتراك، وأهل شمال الهند الذين لا بد أن يحس المرء بشيء من اللكنة الأعجمية في

كلامهم بالعربية، ولو كانوا قد أتقنوها تعلمًا وكتابة وأكثروا من الحديث بها.

واليوم زاد تعجبي من هؤلاء اليورباويين. عندما سمعت الشيخ آدم عبدالله، ومن قبله بعض مساعديه، وأساتذة هذا المعهد وهم يتكلمون كلاماً لا لكمة فيه ولا غرابة في نطق ألفاظه.

مما جعلني أتساءل كما كنت أتساءل قبل ذلك في المدينة المنورة. عما إذا كان هذا يدل على صلة نسب لهؤلاء اليورباويين بالعرب. كما تقول بعض الأساطير، فيكون نطقهم بالعربية سليمة الحروف بسبب تلك الصلة، ويكون السبب لذلك هو قرابة في تشريح الفم واللسان بالعرب؟ ثم أقول: الله أعلم.

وبهذه المناسبة سألت بعض المدرسين عن نسبة المسلمين في مدينة أجيبي فأجاب: أنها ٧٥٪ ولم يستطيعوا أن يعرفوا مجموع السكان في المدينة.

وقد أعقبت ذلك جلسة مع الشيخ آدم عبدالله في مكتبه، وكانت جلسة مفيدة لي جداً. لأنه عارف بأمور هذه البلاد، وهو من أهلها الأصلاء، وذو روح علمية متفتحة للمعرفة، ومثله قليل في إخواننا من علماء الأفارقة في هذه المنطقة، إذ أكثرهم يهتم بما تدعو الحاجة إليه من علوم الدين، ولا يكون في الغالب مهتماً بالأمور التاريخية والمعلومات العامة التي تهمني أكثر من غيري.

والشيخ (آدم) قوي الشخصية، بل هو ذو شخصية مسيطرة، لذلك لا يبقى عنده إلا من يكون سامعاً مطيعاً له، ولذلك أيضاً كان المعهد

وطلابه على هذا المقدار من الانضباط في الإدارة، وكان للمعهد صيته ومنزلته العظيمة في داخل نيجيريا وخارجها.

ومن أثر مكانته في الخارج أن زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق كان قد أقام في هذا المعهد ستة أشهر. يدرس ويعظ فيه وذلك في عام ١٣٨٦هـ.

ومن الصفات الأخرى البارزة في شخصية الشيخ آدم صفة بارزة أيضاً في أكثر رجال قبيلة اليوربا، وهي روح المرح وحب الدعابة والإعجاب بالنكتة، والضحك ضحكاً عميقاً يهتز له البدن كله.

صفة نادرة

ومن الصفات النادرة في الشيخ آدم عبدالله الألوري. أننا عندما سألناه عن مشروعات المعهد التي لم تتم وتحتاج إلى مساعدة وعما يحتاج إليه المعهد من معونة مالية. أجاب: بأنهم لا يطلبون المعونة من الخارج، وذلك لأنهم يخشون أن تتهمهم الحكومة النيجيرية. بأنهم عملاء لبلاد أجنبي، فقلت له: وهذه المشروعات الكبيرة، وبخاصة بناء المسجد الضخم بالإسمنت المسلح؟ أجاب: بأننا نحصل على الأموال اللازمة لذلك من جماعتنا النيجيريين، وبخاصة من أفراد قبيلة اليوربا التي ننتمي إليها.

وهذه صفة نادرة لم أرها في غيره ممن قابلناهم في هذه الرحلة الطويلة. بل إن العكس هو الصحيح. فأكثرهم ينتهز فرصة التقائه بإخوان له من المملكة العربية السعودية المشهورة بالغنى والثروة في هذا الوقت، وبمحببة مساعدة المسلمين فيسارع إلى طلب المساعدة،

وهذا أمر طبيعي، وهو أمر تشجعه المملكة. إلا أنها لابد من أن تتأكد من أن المساعدة التي ترسلها تقع في موقعها.

غير أن بعضهم يبالغ في ذلك فيذكر أنه يحتاج إلى أكثر مما يستحقه في الواقع، بل إن بعض الأشخاص قد يطلب مساعدة على أشياء شبه وهمية، وإن كان عدد هؤلاء قليلاً جداً. فإننا لانعطي مساعدة، ولا نوصي بها إلا لمشروع أو مؤسسة نراها بأنفسنا، ولا نقبل في ذلك أحداً ولو كان عندنا من الثقات، لأن الحزم يقتضي ذلك، وإذا ساعدنا أو أوصينا بمساعدة من رأيناهم فقط فإن ذلك شيء كثير، وفيه خير عظيم للإسلام والمسلمين إن شاء الله، لأننا رأينا جهات عديدة بعضها مذكور في هذا الكتاب وبعضها مذكور في غيره.

وبعضها رآه زميلاي من دوني. لسبب من الأسباب. مثل أن يكون الوقت ضيقاً في بلد من البلدان، والمشروعات والمؤسسات أو المدارس الإسلامية كثيرة. فينقسم الوفد إلى قسمين. قسم يذهب إلى جهة، وآخر إلى جهة أخرى. فنذكر ذلك في التقرير الرسمي، ولكنني لأذكره في هذا الكتاب. لأنني لأذكر فيه إلا المشاهدات والملاحظات التي شاهدها بنفسني. وعود إلى الحديث عما طلبه الشيخ آدم فأقول:

إنه لم يطلب المساعدة المالية، وإنما طلب الكتب العربية، والمنح الدراسية للمتخرجين من هذا المعهد، وهذا أيضاً مما يدل على إخلاصه في عمله.

وفي ختام اللقاء أهدى لكل واحد من أعضاء الوفد مجموعة قيمة من مؤلفاته: - باللغة العربية طبعاً - واعتذرت له بأن الذي أحضرته من مؤلفاتي في هذه السفارة. قد نفذ آخره في غانا، ولذلك أهديت إليه بعد ذلك هدية رمزية أخرى منها زجاجة عطر من مكة المكرمة.

الاحتفال في المسجد .

أبى الشيخ آدم إلا أن يجمع الطلبة والمدرسين كلهم في المسجد، وقال إن هذا مهم جداً لكي يراكم الجميع، ويتعرفوا عليكم. فمجيئكم له أهميته، ولما مانعنا بسبب ضيق الوقت، قال: إنني سأحاول أن يكون ذلك في وقت قصير.

وجمع الطلبة في هذا المسجد الكبير وكان عددهم كثيراً إلى جانب المدرسين، ومما أعجبني أنهم جاؤا إلى المكان وهم بهذه الكثرة، وفي هذا السن الذي يلذ لأهله أن يخرجوا على النظام. فهم مابين الخامسة والعشرين والخامسة عشرة. ومن مراحل تعليمية أعلاها الثانوية. فجاءوا بنظام في الحركة، وكانوا على نسق موحد في اللباس. فكلهم دون استثناء عليهم قمص زرق اللون تصل إلى ماتحت الركبة قليلاً، تحتها سروال يصل إلى مافوق الكعبين قليلاً سكري اللون ثم الطاقية التي لا بد منها.

وأما البنات وعددهن في المعهد ليس كثيراً. خلاف ما عليه الحال في أكثر الدول الإفريقية. إذ يكون عدد البنات في مدارسها كثيراً - في

العادة - ولا يحفلون بالاختلاط ما بين البنات والأبناء، لأنه لاجباب لديهم.

أما هنا فإنهن موجودات في أركان خاصة بهن من الفصول منفصلة في المقاعد، ولكن دون حاجز بين الاثنين في الفصل، وأما في هذا الاجتماع العام. فإنهن كن في الشرفة. أو الطابق الثاني من المسجد يرين ويشاهدن الاحتفال.

وهن مثل الابناء يرتدين قمصاً زرقاء تحتها سراويل ساترة، وعلى رأس كل واحدة غطاء أبيض. يغطي كل رأسها، وذلك في زي موحد لهن لا تختلف فيه واحدة عن الأخرى.

وهو أمر لم أراه في غير هذا المعهد. إذ أكثر أهل المدارس الإسلامية في هذه البلاد الإفريقية لا يبالون بستر البنات، ولا يقيمون وزناً لستر رأسها. لأن الاختلاط التام موجود في كل مكان خارج المدرسة أو المسجد.

وضع أحدهم أمام الشيخ آدم مكبراً يدويّاً للصوت، وبدأ كلمته بلغة عربية فصيحة. بل هي أدبية راقية حديثة، ولم يتكلم بغيرها ثقة منه بأن جميع الطلاب والمدرسين في المعهد يعرفونها. بل لم تستعمل في هذا الحفل أي كلمة غير عربية، وكأنما هو حفل للعرب في بلاد العرب.

وقد بدأ كلمته بتقديم ضيوفه، وتبين أنه يعرف عني بالذات ما لا يعرفه إلا من أراد أن يترجمني، وقد ذكر قصة حدثت في مكتبي

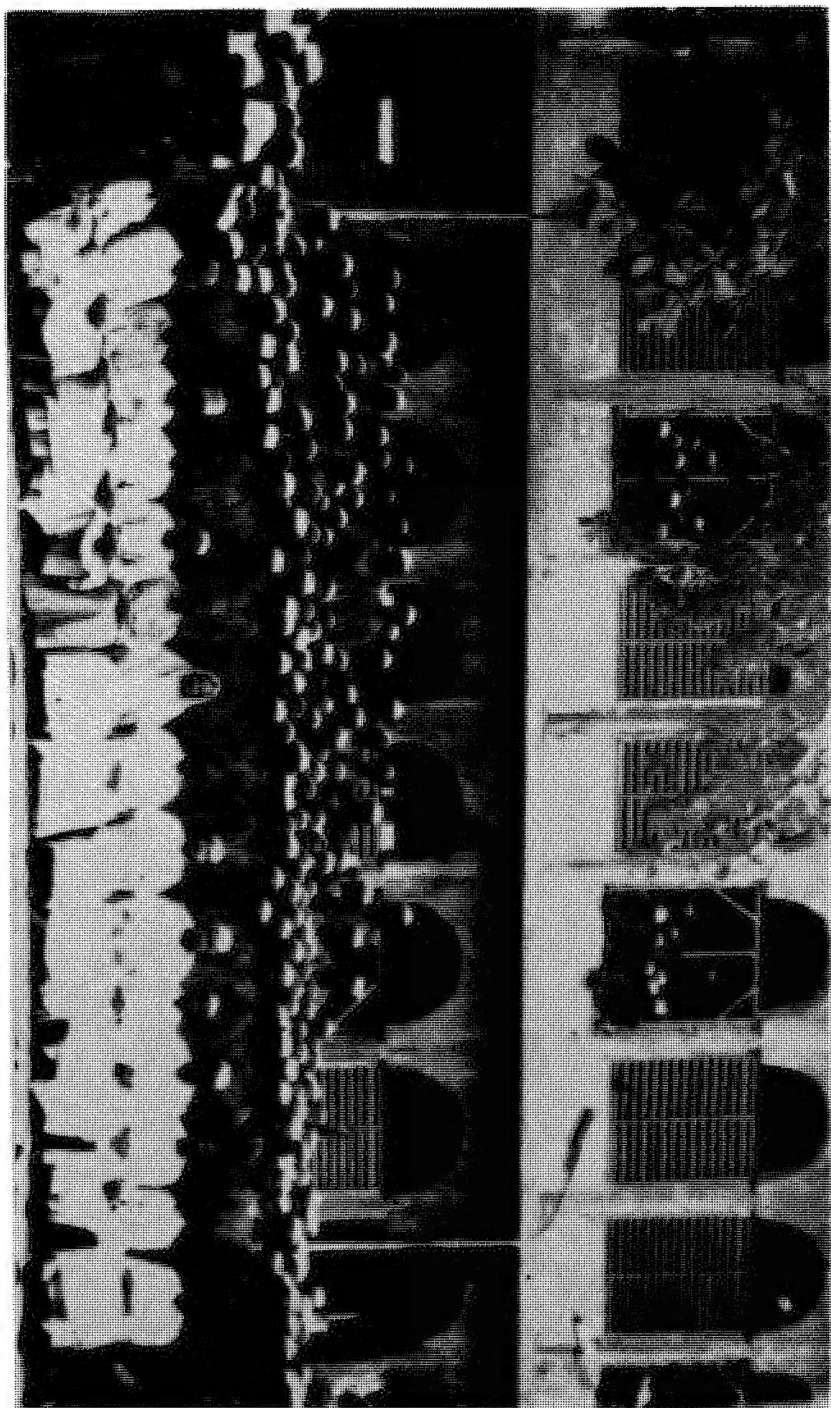
في الجامعة الإسلامية كان حاضراً فيها، وهي قصة رجل انجليزي أسلم، ثم ذكر من مؤلفاتي ورحلاتي ونوه بتسمية كتابي: «في إفريقيا الخضراء» وأن هذه تسمية جديدة إذ كان الأوروبيون يقولون: «إفريقية السوداء» فسامها الأستاذ العبودي الخضراء على حد قوله.

وترجم للشيخ إسماعيل بن عتيق بمثل ذلك، ونوه بزيارته الطويلة السابقة لهذا المعهد، وكيف أنه كان يسكن في مساكنهم، ويأكل مما يأكلون منه. وأثنى على جهوده في توجيه الطلاب في تلك المدة.

ولكنه عندما أراد أن يعرف زميلنا الشيخ عبدالعزیز الربيعان لم يفعل مثل ذلك لأنه لم تسبق له معرفته.

ثم القى الشيخ إسماعيل بن عتيق كلمة الوفد شكره فيها على قوله وأثنى على هذا المعهد خيراً.

وقد لاحظت أن الطلاب يكتبون بعض النقاط الهامة في حديث الشيخ آدم ومن ذلك أسماؤنا وأعمالنا فقد سجلها أكثرهم في دفاترهم.



مع أساتذة وطلبة المركز الإسلامي العربي في الوسط الشيخ آدم عبدالله الألواري
وعلى يمينه الشيخ إسماعيل بن عتيق ويساره المؤلف فالشيخ عبدالعزيز الربيعان

وفي نهاية الاحتفال كان لابد من صورة تسجل ذلك. فكانت الصورة التالية مع الشيخ آدم وبعض المدرسين. وهذه نبذة عن مركز التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا أو جيجي.

قالت النبذة :

التعليم العربي في نيجيريا بين الأمس واليوم

تتناول كلمة نيجيريا الجزء الأكبر من غرب إفريقيا. التي كانت تدعى بالسودان الغربي أو بلاد التكرور في القرون الوسطى، وقد كانت معروفة كجزء من العالم الإسلامي الذي كان يوجد في كل بلد من بلادها مع دخول الإسلام فيها مدرستان عربيتان.

أولاهما : المدرسة القرآنية (الكُتّاب).

وآخرهما : مدرسة العلوم (المعهد).

فالمدرسة القرآنية مفتوحة دوماً لأطفال المسلمين. يعكف عليها التلاميذ منذ السابع من أعمارهم. حتى يجودوا قراءة القرآن سرّداً من المصحف أو يتقنوه حفظاً عن ظهر الغيب.

ويعتنى بهؤلاء الأطفال معلمون من الأئمة والعلماء والمؤننين وأمثالهم حتى يتخرجوا منها.

ثم مدرسة العلوم التي تكون في كل عاصمة من العواصم الكبرى يتصدى للتدريس فيها فحول الأدب والفقه حتى يخلفوا أمثالهم من العباقرة والأساطين. الذين لهم آثارهم العلمية. التي تنطق ببراعتهم وتترجم عن نبوغهم.

ولم يزل التعليم العربي يزدهر في عواصم تمبكتو. وجني وبرنو وكاشنة وكانو وزاريا وصوكتو.

تأسيس المركز وأعماله وفروعه

المركز هو المكان الذي يلتقي فيه طلاب الثقافة العربية والإسلامية في مختلف الجهات بنيجيريا والداهومي وما حولها. تم تأسيسه في شهر ابريل عام ١٩٥٢م. في منزل مستأجر بمدينة ابيكوتا. على مساعدة لجنة من أهل الإيمان من جماعة أنصار الدين فرع ابيكوتا واستمر هناك ثلاث سنوات. ثم انتقل إلى مدينة اجيجي قرب لاغوس حيث استقر مقره الرئيسي. ثم امتدت فروعه إلى البلاد، والأقطار المجاورة وكانت أعماله على الخطوط الرئيسية الآتية:

أولاً : تعليم اللغة العربية بقصد الخدمة الإسلامية.

ثانياً : بث الدعوة الإسلامية بين المسلمين والنصارى والوثنيين.

ثالثاً : توزيع الكتب والرسائل الإسلامية للتثقيف والتوعية.

رابعاً : إمداد المدارس الحكومية والأهلية بالمدرسين في اللغة العربية.

خامساً : إمداد المساجد والمنظمات الإسلامية بالأئمة والوعاظ.

المقر الرئيسي في اجيجي:

يضم المقر الرئيسي للمركز الأجنحة الآتية:

أولاً : المعهد هو الذي يتكون من القسمين الاعدادي والتوجيهي ويقضي الطالب أربع سنوات في القسم الاعدادي، وثلاث سنوات في القسم التوجيهي يقصد القسمين كل من يود أن يتعلم العربية كوسيلة مباشرة لفهم الإسلام فهماً يجعله

مسئولاً عنه أمام الله وأمام الناس، ويتراوح عدد الطلاب الذين يتعاقبون فيه عاماً بعد عام ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ تقريباً يتوافدون من بلاد نيجيريا والداهومي وغانا وساحل العاج وغيرها.

ثانياً : «المسجد» وهو الجامع الذي يلتقى فيه نحو ألف مسلم كل جمعة للاستماع إلى الخطب المنبرية التي تلقى بالعربية وينقلها المترجم إلى الحاضرين باللغة المحلية.

ثالثاً : «الميدان» هو الفناء الذي يجتمع فيه مايزيد على ثلاثة آلاف مسلم لصلاة العيدين كل عام للوعظ والارشاد كل ليلة من ليالي رمضان وتقام فيه الحفلات الإسلامية.

رابعاً : «الإدارة» وهي المكاتب التي يجلس في كل واحد منها المدير والعميد والمدرسون.

خامساً : «الرواق» وهو المكان الذي يسكن فيه نحو مائة وعشرين طالباً من المنقطعين للتعلم ولايلوون على أهل.

سادساً : «المطبعة» التي فيها آلة الطباعة لنشر الكتب المدرسية والمجلات الثقافية باللغتين العربية والمحلية.

سابعاً : «المكتبة» التي فيها الكتب الإسلامية لمراجعة المدرسين ومذاكرة الطلاب.

ثامناً : «قاعة المحاضرات» التي يجتمع فيها المسلمون للمحاضرات والحفلات الإسلامية يشرع في تجديد بنائها قريباً.

ولم تزل العربية لغة الأدب والتاريخ والثقافة والعلوم ولغة الحكومة في العهود والوثائق والسجلات الرسمية.

ولم تزل الشرعية الإسلامية دستور الحكومات في المعاملات والجنایات، ولم يزل العلماء أرباب الحل والعقد، وكُتَّاب الدواوين وخطباء البرلمانات. حتى احتل المستعمرون البلاد بخيلهم ورجلهم وهجموا على كل ثقافة عربية إسلامية. بسائر الأسلحة المدمرة ليتركوها أثراً بعد عين وفحمة بعد جذوة وربوة بعد صخرة وقاعاً بعد هضبة وجاء التبشير الصليبي بشتى المغريات الجذابة. يضع كل امكانياته تحت من ينعش لغات الافرنج، ويوقد نيران حرب ضروس كثيرة الضحايا والهول لاتبقى ولا تذر من أخضر ويابس أتت عليه إلا جعلته كالرميم. فيوقد نيرانها على اللغة القرآنية كل هذا، وذلك لبناء الافرنجية والنصرانية الصليبية. على انقاض العربية والإسلام الحنيف تبعاً لبناء دولة الاستعمار والصليب مكان دولة الاستقلال والهلال.

ولم يمض قرن واحد من الزمان. حتى ارتفع الصليب على الهلال وعلت النواقيس على أصوات المؤذنين وتعطلت المدارس القرآنية بامتلاء المدارس الإنجيلية.

فروع المركز في نيجيريا والداهومى :

تتبع المركز فروع يقوم بانشائها المتخرجون من المركز أو المؤمنون بفكرة المركز، وتسير تلك الفروع على منهج التعليم بالمركز تحت إشراف مدير المركز وتوجيهه وتحت مراقبة مفتش التعليم بالمركز.

فتقوم إدارة المركز بالإشراف على امتحانات تلك الفروع، وعلى مساعدتها بالكتب المقررة، وبعث المدرسين إليها على حساب تلك

الفروع غالباً وعلى حساب المركز أحياناً. كما يوزع عليها المركز منحاً دراسية في الداخل والخارج، ويقوم المدير والعميد والمراقب بزيارة تلك الفروع في مختلف المناسبات.

وأهم تلك الفروع في داخل نيجيريا كالاتي :

١- دار العلوم لجبهة العلماء في مدينة الورن.

٢- مركز شباب الإسلام في مدينة ايوو وايدي وايجبو.

٣- روضة الدراسات الإسلامية في مدينة اكرون.

٤- المدرسة النظامية في مدينة ابواوره.

وأهمها خارج نيجيريا :

مركز التعليم العربي في مدينة ساكيتي، وفروعه في أنحاء الداهومي وفي ساحل العاج بعض مراكز للمتخرجين من مركزنا هذا.

طرق التدريس :

الطريقة المتبعة للتدريس في المركز. هي طريقة التدريج والتطوير من القديم إلى الحديث حتى يستأنس الناس بالحديث ويألفوه أما أساليب التحصيل فهي كالاتي :

أولاً : القراءة الصحيحة تعلماً وتعليماً.

ثانياً : تحسين الكتابة بخط النسخ المعتاد عند أهل البلاد.

ثالثاً : لقاء المحاضرات من المدرسين والاستماع لها من الطلاب.

رابعاً : الاستماع إلى الإذاعات العربية لتجويد اللهجة.

خامساً : المطالعة للاعتماد على النفس في البحث والمراجعة.



مسكن الطلاب ومبيتهم ويسع مائة وعشرين طالباً



مسجد المركز الذي يسع نحو ألف مصل تقريباً

المواد المقررة والكتب :

يدرس في القسم الاعدادي من قواعد اللغة (النحو والصرف والانشاء)، ومن علوم الدين «الفقه والحديث والتجويد والتفسير والتوحيد»، ومن العلوم الاجتماعية «التاريخ والجغرافيا والأخلاق» ويدرس كل ذلك بالتوسع في التوجيهي بإضافة علوم البلاغة والأدب والمنطق والعروض والقافية وأصول الفقه ومتن اللغة، وتشتمل الكتب المشهورة في المعاهد الإسلامية إلى جانب مذكرات يعدها أساتذتنا لطلابنا وقد طبع منها نحو ثلاثين في مختلف المواد. انتهت النبذة.

الصف الأزرق :

تحركت السيارة من داخل المعهد حتى وصلت إلى سوق البلدة خارج المعهد بمسافة بعيدة. وسط صفين أزرقين. إذ كان الطلاب بسرعة عجيبة ونظام أعجب قد سبقونا إلى الطريق فصفوا صفين على اليمين واليسار، وتركوا بين الصفين مايتسع لمرور السيارة فقط، وكانوا يقولون، وهم يرفعون أيديهم بالتحية (سلامة) سلامة أو سلاماً، سلاماً.

وعجبت من طول هذا الصف. فما ظننت أن طلاب المعهد. بهذه الكثرة وأن صفهم سيكون بهذا الطول، وأخبروني بأن عدد الطالبة الذين اصطفوا يزيد على الألفين قليلاً.

وكانوا كلهم بلباسهم الأزرق الموحد، وطواقيمهم اللامعة المميزة. وكان وقوفهم وأصواتهم، وهم يودعون بنظام مما يلفت النظر حتى إن عدداً من سكان البيوت التي تطل على هذا المكان خرجوا إلى شرفات بيوتهم أو نوافذها ينظرون ويتفرجون.



الفصول الدراسية الاعدادية والتوجيهية.



جناح المطبعة والمكتبة والإدارة.

العودة إلى لاجوس :

كانت العودة في الساعة الواحدة إلا ربعاً. مع الشوارع القذرة التي يتنافى وجودها في هذه البلدة مع نظافة أهلها في أبدانهم وأثوابهم ومنازلهم، ولما أبدت دهشتي من هذا الإهمال المشين من الحكومة علق بعض الإخوان النيجيريين بقوله: إن ذلك هو بسبب الحكومات العسكرية السابقة التي أهملت البلاد، ولم يكن هم أفرادها إلا المصلحة الشخصية العاجلة، قالوا: وهذه الحكومة المدنية الحاضرة بدأت بالإصلاح ولكنه كثير يحتاج إلى وقت طويل.

والواقع أنه لو كانت الحكومة هنا تعمل في المصلحة العامة. كما تعمل حكومة الهند مثلاً لكانت البلاد نظيفة، لأن مستوى النظافة عند عامة الشعب هنا هو في مستوى النظافة العامة عند عامة الشعب في الهند، وبخاصة الشعب في القرى والأرياف.

الطعام النيجيري :

مررنا بالسفارة السعودية في لاجوس وانفقنا فيها بعض الوقت، ولذلك تأخرنا فلم نصل إلى الفندق إلا في الثانية والنصف فأسرعنا إلى مطعم فيه نبحت عن الغداء، وكان فيه عدة مطاعم فقال أحدها: إننا انتهينا في الثانية والنصف. فعليكم بالآخر فأدركناه وبعض الأصناف من السلطات ونحوها قد نفذ.

وكان سعر الوجبة فيه مثل الذي قبله عشر نيرات ونصفاً وطريقته أن تخدم نفسك. بأن تأخذ ماتريد في صحنك من الطعام المعروض.

ولم نجد فيه إلا لحم خنزير أحمر في شرائح لا يماثلها إلا الشرائح من سمك السلمون، فسألت عنه موظفة نيجيرية كانت واقفة عند المائدة فقالت: إنه خنزير فتركته، وكان هناك لحم آخر مطبوخ كما يطبخ لحم البقر سألتها عنه فقالت: إنه لحم خنزير.

فلما لم أجد لحمًا حلالاً استبعدت أن يكون الطعام في فندق كبير كهذا ليس فيه لحم حلال، ويكون فيه لحم الخنزير على نوعين، فذلك أمر لم أشاهده في بلاد الخنزير أوربا وأمريكا. لذلك عدت أستفهمها عن اللون الآخر من اللحم أهو - كما فهمت منها - لحم خنزير. فغضبت مني وانفجرت قائلة بغلظة: إنه لحم خنزير، لقد قلت لك لحم خنزير.

وسكت، وما بيدي أن أفعل غير ذلك. وأنا متعجب من غلظة هذه المرأة وجفائها وأقارنها بمثيلات لها في العمل في فنادق العالم فأجد الفرق شاسعاً.

وجعلت أنا وأصحابي نأخذ من الطعام الحلال، وفيه شيء كالعصيدة الغليظة القاسية، ويسمونه هنا (يام)، وهو شبيه بالبطاطس، وليس به له طعم مميز. لابد أن يؤكل معه فلفل أو شيء حار، ومرق آخر من الباذنجان، ومعه قطع صغيرة من لحم يابس كأنه الحجارة. تذوقناه بعد ذلك فوجدناه قديداً متغير الطعم.

ومع هذه المعاملة السيئة، وعدم وجود اللحم الحلال في هذه الوجبة الغالية فإنهم أخذوا بسرعة فائقة يسحبون الأواني، وماتبقى منها من طعام يرفعونها لأن موعد انتهاء الوقت، وهو الثالثة قد قرب، ولم ينتظروا فراغ من لم يأخذ بطبقه إلا قليلاً، بل تركوه وجوعه إذا لم يكفه مامعه.

ومما ينبغي التنويه به أنك لا يمكن أن تذوق الطعام إلا بعد أن تدفع ثمنه مقدماً. إلا إذا كنت من سكان الفندق. فانك يمكن أن توقع على قائمة الثمن. لأن الفندق يكون قد أخذ منك تأميناً إضافياً. عما يمكن أن تأكله من طعام وترفض دفع ثمنه بدون تأمين على حد زعمهم.

يوم الأربعاء : ١٩/٥/١٤٠١ هـ - ٢٥/٣/١٩٨١ م.

وداع الفندق :

كما كان استقبال فندق (ايكو هولدي إن) منغصاً كان وداعه.

فقد كان الأستاذ إسماعيل صفطه أعطى الفندق نقوداً بمثابة أجره مقدمة وتأمين فأعطاهم لغرفتي ثلاثمائة نيرة. مع أن أجره الغرفة (٤٥) نيرة. كما أخبرونا ولبثت ثلاث ليال، ومع ذلك لم يعيدوا إلا ١١٤ نيرة أما الباقي فلا تسأل عنه. لأن الموظف في استقبال الفندق لايسئل عما يفعل، وإذا سألت فإنه لا يجيبك.

وقد كنا في الصباح أخبرناهم كما نفعل في الفنادق الأخرى في العالم أننا سنغادر الغرف في الحادية عشرة والنصف، ونحب أن ندفع الآن فقالوا: لا يمكن المحاسبة إلا بعد الحادية عشرة، وكان مقصدنا من ذلك أن نتلافى التأخير في الوقت الذي عهدناه منهم، ولكنهم امتنعوا، وفي الحادية عشرة أرسلنا الأخ عاقب عبد السلام سكرتير مكتب الملحق الديني إليهم ليحاسبهم فأبوا، وقالوا: لا بد من أن ينزلوا ويسلموا لنا مفاتيح الغرفة تسليماً نهائياً قبل أن نحاسبهم.

وعندما أتمنا كل شيء نزلنا إليهم في الحادية عشرة. فظل الموظف مدة وطابور خلفي من الأوروبيين يتأففون من التأخير، وكل

لايبالي بهم، بل ربما كان يتشفى منهم إذ لاحظت ذلك عندما كان موظفا السفارة السعودية والدبلوماسي المغربي يحاولون انجاز دخولنا للغرف أن الموظف كان يتعمد إهانتهم وتأخيرهم، فظل مثلاً نصف ساعة تقريباً، وهو يتجاهل طلبهم لورقة من الأوراق التي يجب على النزيل أن يملأها.

وبعد الانتهاء من محاسبة الفندق التي لم تقنعنا، ولكننا لم نستطع أن نفعل شيئاً، لأنه أخذ عن ثلاث ليال ١٨٦ نيرة وتساوي بصرفه هو ٣٧٢ دولاراً أمريكياً. ليس فيها غير المبيت إلا إفطار ثلاثة أيام، وفجناً واحداً من القهوة، ولذلك دُهِش عندما رأى ذلك وقال: أين كنتم تأكلون؟.

فقلت له: إن إخواننا يدعوننا إلى الخارج وإذا احتجنا إلى شيء من الفندق دفعناه إلا الإفطار. ظناً منا أنه تابع لأجرة الغرفة كما هو في أكثر بلدان العالم.

بعد ذلك مررنا بالسفارة السعودية حيث بحثنا مع إخواننا فيها بعض الأمور المتعلقة بالمساعدة المالية التي نحملها.

إلى مدينة إبادن :

غادرنا (لاجوس) أو على الأدق غادرنا مقر السفارة السعودية في (حي فكتوريا آيلند) في لاجوس في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً قاصدين مدينة إبادان على سيارة مكتب الملحق الديني في لاجوس.

وكانت الرفقة الشيخ عبدالعزيز الربيعان زميلنا في الوفد والأستاذ عاقب عبدالسلام، أو العاقب عبدالسلام سكرتير مكتب الملحق الديني وسائق السيارة وهو مسلم وتبلغ المسافة إلى إبادان حوالي (١٥٠) كيلاً.

ومررنا في طريقنا بالمسجد المركزي الجديد الذي سيجري افتتاحه في يوم السبت القادم، وكانت هيئة المسجد قد أرسلت إلي بطاقة دعوة لحضور الاحتفال المذكور غير أن ظروف السفر لم تمكنني من ذلك.

وقد أقيمت عليه نظرة عاجلة، ويتألف من أربعة طوابق الأسفل لصلاة الرجال، والذي فوقه مخصص للنساء يصلين فيه، والثالث: قاعة اجتماعات كبيرة، والطابق الرابع مكتبة ومعرض كتب.

وخرجنا من مدينة لاجوس القديمة مع جسورها. التي بعضها مقام على ماء البحر الذي يحيط بجزيرة لاجوس، وبعضها مقام على اليابسة لتسهيل حركة المرور، وهي جسور جيدة الصنع، متقنة العمل.

وملأ السائق خزان سيارته من الوقود، وكانت المحطة التي ملأها منه هي الثالثة، إذ كلما مر بمحطة وجدها مزدحمة، بحيث يصعب عليه الانتظار، وذلك لكثرة السيارات، وإلا فإن الوقود متوفر لأن (نيجيريا) من الدول المصدرة للنفط، ولاتعاني نقصاً فيه.

ورأينا في مكان غير بعيد رجلاً يبيع الضأن، فرأيت غنمهم شبيهة بالتي نسميها سواكن غير أنها هزيلة، رغم الخضرة الشديدة والأمطار الغزيرة في البلاد.

اللحم في لاجوس :

منذ أن وصلت إلى لاجوس، وأنا أريد أن أعرف سعر اللحم فيها فسألت طبّاخ مكتب الملحق الديني، وهو سوداني الأصل عن ذلك؟ فأجاب: بأنه لا يدري لأنه يشتري اللحم بالقطعة جزافاً. دون وزن فقلت له: ولكن القطعة تختلف كبراً وصغراً وسمناً وضعفاً فقال: هكذا.

وسألت موظفاً في السفارة، فقال: نعم إنهم يبيعون بالقطعة، وإن الحكومة تحاول أن تجبرهم على أن يبيعوا اللحم وزناً، ولكن الجزارين لا يرضون بذلك، ويسايرهم الناس في هذا الأمر.

ولكنني بعد رأي وحساب استطعت أن أعرف أن متوسط سعر لحم الماعز هو (٣٥) ريالاً للكلبي الواحد. قالوا: وهو لحم لا يكون جيداً في أغلب الأحوال.

وانتهزت الفرصة لسؤال الشيخ العاقب عبدالسلام عن راتبه فقال: إنه ٢٧٤ نيرة، وعن المصاريف اللازمة لبيته فقال: إنه كان قد تزوج وأنجب، وإنه تزوج بأخرى منذ شهر، وهي فتاة صغيرة السن لم يأخذ والدها منه مهراً، ولكن حفلة الزفاف كانت غالية.

وقال - من بين ماقاله - إن الدجاجة تباع بخمس نيرات، وإنه احتاج قبل أيام إلى أربع فاشتراها بإحدى وعشرين نيرة، وهذا المبلغ كما قلت مراراً يساوي بالصرف الرسمي أربعين دولاراً. أي مائة وثلاثة وثلاثين ريالاً، وهي في بلادنا تساوي إذا كانت من إنتاج المزارع الجيدة (٢٨) ريالاً. أي بسبعة ريالات للواحدة.

وقال : إنه يشتري كيس الأرز الأمريكي بمائة نيرة.

ولم أذكر له الأسعار في بلادنا لئلا يصيبه الحزن، فهي والله الحمد رخيصة إلى درجة لا يصدق بها من يكون في هذه البلاد ذات الأنهار والأمطار، والغابات والأراضي الخضراء والشعب الكثير. الذي فيه أيد عاملة هائلة العدد.

ركود وركود :

ركدت حركة السيارات في الشارع الضخم المنطلق من لاجوس إلى (إبادان)، وركدت حركة الهواء، وكان من السيارات التي ركدت في الشارع شاحنات ضخمة تنفث محركاتها دخاناً كربه اللون والرائحة يزيد من ركود الهواء والسيارات، والحر السائد في هذه الظهيرة ثقلاً ووطأة على النفس.

وكان في الخط الذي فيه سيارتنا سيارة معطلة، فكان علي من يصل إليها. أن ينحرف ليدخل في الصفين الآخرين في الشارع. غير أن السائق حاول أن يجد من السائقين ذوي مروءة يسمحون له بالدخول في الصف، فلم يستطع وإنما كانوا يلحون بأبواق سياراتهم ويمرون. مما يزيد من الازعاج مع أن بعض السيارات من الشاحنات الطويلة. إلى أن غامر ودخل بعد فترة من الانتظار.

لاتثق بأحد :

بينما كانت السيارات - على كثرتها - تزحف في هذا الشارع زحفاً وثيداً. كانت أمامنا سيارة جديدة قد كتب على آخرها بخط بارز كبير بالانكليزية (ترست نو بدي) أي: لاتثق بأحد.

والحقيقة أن هذه العبارة التي اختارها أحدهم لصدقها عنده. هي شعار الفنادق والمطاعم والمحلات العامة في هذه البلاد، حتى فنادق الدرجة الأولى قد أخذت بها حرفياً. فهي لاتسمح بإسكان الشخص إلا بعد أن يدفع ثمن المبيت في الغرفة مضافاً إليه مبلغ بمثابة تأمين فهي تطبق هذا المبادئ (لاتثق بأحد).

وقد أردت أن أعرف رأي فرد من الشعب في هذه العبارة. فأريتها سائق سيارتنا وهو يعرف الانكليزية، وسألته عن صحتها فقال: نعم نعم إنها صحيحة، لاينبغي للمرء أن يثق بأي شخص.

الغابة أرحم من هذا :

عندما وقفت طوابير السيارات في هذا الحر الرطب، وصار من في السيارة يعاني من الازهاق أمراً شديداً ربما لايقبل عن الازهاق الذي

يعانيه طوائف من الشعب كنا نراهم ونحن في سيارتنا يسيرون في الشمس والعرق يتصبب من أجسادهم، وربما رأينا من يحمل على رأسه شيئاً ، ومن يتضايق من جمهور الناس كما يتضايق سائق السيارة من السيارات الأخرى، ورأيت مجاري المياه المستعملة القذرة في جانبي الشارع مكشوفة وبعض القمام في مهمة تبادر إلى ذهني هذا الذي ذكرته في العنوان (الغابة أرحم من هذا).

فالإفريقي البسيط القريب من الفطرة. ربما كان خيراً له وأكثر رافة به أن يظل يعيش في الغابة. عيشة بسيطة رضية خالية من التعقيد ليس لديه فيضان من مياه المجاري، ولارعد من محركات السيارات، ولابركان من أدخنتها.

وحاجاته كانت محدودة. فهو يأكل من الغابة، ويعيش في الغابة ويموت في الغابة، حتى مشكلة اللغات التي يعانيها سكان مدينة لاجوس الذين على من يريد التفاهم منهم مع الآخرين أن يتعلم الانكليزية ولغة أو أكثر من اللغات الإفريقية الرئيسية، حتى تلك اللغات لا يكون إنسان الغابة محتاجاً إليها فلغته محدودة، لأن حاجاته محدودة وتفكيره محدود، والناس الذين يحتاج إلى مخاطبتهم عددهم محدود.

ولماذا لا يكون تفكيره محدوداً، وهو لن يتعامل إلا مع أشياء محدودة ولكنها على ضيقها، ونطاقها المحدود. ستكون كافية لتلبية رغباته، وهي كافية أيضاً لرهباته التي لاغنى عنها في حوافز الحياة.

وهؤلاء الباعة الذين أشاهدهم في مجموعات كبيرة. تحت هذه الشمس الاستوائية. يعرضون بضائعهم على ركاب السيارات

المتحيزة، وقد جاؤا إلى هذا المكان من هذا الشارع الواسع. لثقتهم بأن الحركة فيه تتوقف إلى درجة تكفيهم لمبايعة الأشخاص الذين يعرضون عليهم بضائعهم، وهم في داخل سياراتهم.

وبضائعهم أنواع متنوعة من أقراص البسكويت إلى المرايا - جمع مرآة - التي تعلق على الحيطان في المنزل.

وهناك شيء يزيد في ازعاج السيارات، وهي الدراجات النارية، فهي كثيرة هنا بدرجة تلفت النظر، وقد يكون هذا أمراً معتاداً، ولكن غير المعتاد في أمرها أن يجعل لها أربابها أبواقاً مزعجة عالية الصوت، كأبواق السيارات فيخيل إليك إذا سمعتها من خلفك. أنها سيارة تريد أن تتقدم عليك، فتصدم سيارتك، لأنك ترى الطريق أمامك مغلقاً بالسيارات الأخرى، وبعضها ذو محركات مزعجة بصوتها، وبعضها يثير دخاناً كريهاً.

وعندما سارت السيارات في هذا الشارع الواسع الجيد الذي خططوا معظمه بخطوط تبين مسار كل سيارة منه، رأيت بعض السائقين لا يستقيم على مسار الصف. الذي هو فيه بل ينحرف يميناً وشمالاً. مما يزيد في إرهاق الأعصاب، وبالتالي يسبب المزيد من حوادث السيارات. التي هي كثيرة في هذه الطرق العامة.

ويكفي أن تعرف أن الشارع الذي نسير فيه. هو في الحقيقة أربعة شوارع. يفصل بين الواحد والآخر رصيف محكم. قد رصف بالأسفلت شارعان منها للذهاب وشارعان للآيب، والشارع الواحد فيه في المتوسط مساران، وقد يكون فيه ثلاثة في بعض الأحيان.

الخروج من لاجوس :

أمضينا ساعة وعشرين دقيقة، ونحن نسير في شوارع مدينة لاجوس أو فيما هو معتبر من المدينة التي هي العاصمة الاتحادية لدولة نيجيريا أكبر الدول الإفريقية.

وقبل الخروج منها رأينا طوائف من الجنود يحملون البنادق الجاهزة للاطلاق، وهم يفتشون بعض السيارات.

أخبرنا مرافقونا أن هذا التفتيش كثيراً ما يكون القصد منه البحث عن السيارات المسروقة، لأن هناك عصابات متخصصة بسرقة السيارات، وهناك عصابات أخرى متخصصة في أنواع من السرقات. مما يجعل الشرطة تفتش السيارات التي تشتبه بها، على أن كثيراً من الناس الذين حادثناهم. لم يكونوا يثقون بالجنود تماماً ويقولون إنهم في بعض الأحيان يسببون مضايقات للناس وقد يجدون ما يأخذونه ولكن وجودهم ذو نفع كبير في مكافحة انتشار سرقة الأشياء الكبيرة.

ولم يوقفوا سيارتنا أو يعترضوها. ربما كان ذلك من أجلنا، أو لكونهم مشغولين بعدد من السيارات. كانوا قد أوقفوها أو لأنها تحمل لوحة سياسية.

وخرجنا من بوابة تعترض الطريق - طريق الخروج - من منطقة مدينة لاجوس، ودفع السائق نيرتين اثنتين. أجرة استعماله هذا الطريق العام، وأخذ بدلاً منهما وصلاً صغيراً عليه أن يقدمه للواقفين عند بوابة الدخول إلى مدينة ابادان فيما بعد.

وهذا النظام معمول به في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه ليس بهذا الغلاء. فالمقدار بالصرف الرسمي. هو أقل قليلاً من أربعة دولارات لمسافة لا تزيد على ١٢٠ كيلاً.

وبعد الخروج من بوابة (لاجوس) انطلقت السيارة كأنما اطلقت من عقال فقد خف الزحام، بل ذهب كله، وأصبح الطريق مسارين واحد للذهاب وآخر للآيب، وفي كل مسار سيارتان، وعن يمين كل طريق مايتسع سعة ظاهرة كافية لوقوف السيارة إذا تعطلت، وبين طريق الذهاب والآيب فراغ واسع. قد أحاطوه بسياج من الحديد قوي.

ولكن المشكلة أن سائقنا النيجيري كأنما أراد أن ينتقم من الزحام السابق. فاطلق العنان لسيارته، فأخذت تنهب الطريق، وتسابق السيارات الأخرى انتهابه، فكان المؤشر يصل إلى ١٤٠ كيلاً في الساعة، لكنه لايقنع بذلك بل يضغط على الوقود حتى يندفع.

وقد فزعت لذلك وقلت له، وأنا أرى حطام السيارات المحترقة، والمدمرة من الحوادث: ارفق ارفق، ولكنه قابل ذلك بضحكة لامبالية فاستعنت عليه ببعض المرافقين، فأخذ لايزيد على مائة وعشرين ومائة وثلاثين إلا إذا غفلنا عنه.

أما المنطقة التي نسير فيها فإنها منطقة ذات ريف أخضر، ولكن المرء يشعر بأن أكثر النباتات الموجودة فيها. هي أعشاب وحشية أي: غير مزروعة، وأكثرها غير مفيد، وإذا صادف المرء مكاناً قد أخذ منه تراب، وهو قليل فإنه يرى التربة حمراء جميلة كأنها التربة الإفريقية الاستوائية في شرقي إفريقية ووسطها.

أما الأشجار والمزروعات النافعة، فأكثرها أشجار الموز ونخيل الزيت على كونها تبدو غير جيدة، بل رأينا بعضها قد مات، وبعضها قد ماتت بعض عسبه - جمع عسيب وهي أغصانه.

وسألت الأخ العاقب وقد زدت بعد ذلك في اسمه ميماً بعد ال وقبل العين. عن السبب في كون هذه النخيل ميتة؟ فأجاب: لأن عمرها طويل.

وقد أسميته بهذا الاسم لأنني كنت قد أملت فيه أن يجيب على أسئلتني عما أريد الاستفسار عنه في هذا الطريق، فكان إذا سألته: أجاب بضحكة وبكلمات قد تكون غير واضحة.

واستمر الطريق الفخم الواسع في الإمتداد. دون أن تكون عليه قرى أو بلدان، بل ليس عليه مقاه، أو محلات استراحة. وأخبرونا أن ذلك هو لكونه جديداً. وأن هذه كلها كانت موجودة على طريق قديم غيره.

وقالوا: إنه لم يمض على إنشائه إلا حوالي ثلاث سنوات.

وهو طريق معتنى به. تسير فيه السيارة لا يعترض طريقها شيء حتى إنهم أقاموا عليه جسوراً معترضة تسير عليها السيارات. التي تريد أن تقطع الطريق.

الحوادث الكبيرة .

ولكن السير في هذا الطريق على سعته وحدثته، واتقان بنائه يثير الرهبة والفرع. ذلك بأنك تشاهد بقايا السيارات المحترقة والمحطمة

تماماً، وربما كان هذا ليس بالغريب على شخص مثلي فجوانب الطرق الرئيسية الطويلة في بلادنا. فيها هياكل السيارات المحطمة من الحوادث، ولكن المفزع الذي لا يوجد مثله في بلادنا أن ترى عدة حوادث حاضرة.

فقد رأينا عدة سيارات قد اصطدمت، وأخرى قد انقلبت، ومنها سيارات كبيرة من الشاحنات أو ناقلات النفط.

ومررنا بسيارة كبيرة تخرج منها سحب هائلة من الدخان. فلما تجاوزناها بمقدار نصف دقيقة سمعنا صوت انفجار ضخم، وهي تقف، وتقف عندها بعض السيارات التي صادف عبورها الطريق.

وقد قطعنا المسافة منذ أن انطلقنا من أسرزحام لاجوس في مدة يسيرة.

بلاد اليوربا



خريطة غرب نيجيريا ومنها بلاد اليوروبا

قال الشيخ محمد بيلو: وأما بلد يُرَبّ فبلدة واسعة ذات أنهار وأشجار، ورمال وجبال، فمنها الأخبار العجيبة والأسوار الغربية، بجانبهم مرسى السفن للنصارى المذكورين، وكان ذكر أنهم الذين يتاجرون بالعبيد.

وأهل هذا البلد - على ما يقال - أنهم من بقايا بني كنعان، الذين هم عشيرة نمرود.

وسبب مقامهم في المغرب - على ما قيل - أن يَعْرِبَ بن قحطان هو الذي طردهم من العراق إلى المغرب، فسلخوا بين مصر والحبشة حتى وصلوا إلى (يُرَبّ) وكانوا يخلقون في كل بلد طائفة منهم.

إلى أن قال «في هذا البلد أخبار عجيبة ذكرها محمد مسنة صاحب النفحة العنبرية في ... أزهار الربى، في أخبار يُرَبّى».

وكان أهل هذا البلد يجلب لهم العبيد من بلادنا هذه، ويبيعونهم للنصارى المذكورين.

وإنما ذكرت لك هذه القضية لئلا تتبع عبداً مسلماً لن يجلبه إليها. وقد عمت البلوى بذلك. (١).

هذا ما ذكره الشيخ محمد بيلو، وهو ليس من اليورباويين. بل هو فولاني الأصل (هوساوي) الموطن.

ولكننا نرى أن بلاد اليوربا قد حظيت بتأليف عن أحوالها من أبنائها الذين كتبوا تاريخها بالعربية. أكثر مما حظيت به منطقة أخرى في

(١) إنفاق اليسور في تاريخ بلاد التكرور ص ٤٨.

نيجيريا فاطلعنا نحن العرب على شيء مما يقال عن تاريخها بلغتنا أكثر مما اطلعنا على مايقال عن تاريخ المناطق الأخرى في نيجيريا، وسوف ننقل نصين عن عالمين من علماء اليوروبا في هذا الموضوع، وهما الشيخ آدم عبدالله الألوري والشيخ مصطفى زغلول السنوسي.

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري :

ليس لتاريخ نيجيريا القديم إلا مرجعان اثنان. أولهما السلطان محمد بللو المتوفى ١٨٢٧م. في كتابه انفاق الميسور، وثانيهما سمويل جونسن في تاريخ يوروبا ١٨٩٧م، ولم يسلم الاثنان من الزلل فيما كتبا رغم الجهود التي بذلا في تحقيق الروايات وغربلتها لتمييز الحثالة من النقاية.

ونحن نثبت هنا خلاصة ما يروون مما لا بأس به من بين تلك الروايات ثم نعلق عليها.

يقولون أن يوروبا وبرنو وغوبر ونوبه ابناء اخوة واحدة أو أبناء اعمام هاجروا سوياً إلى هذه البلاد من آسيا وت خلف النوبة في أرض دنغلا واستمر الباقون في السفر حتى وصلوا هذه البلاد واستقر كل بالجهات المعروفة بهم اليوم.

وهذا قول لا يبعد عن الصواب نظراً للشبه الكائن بين هؤلاء الأجناس في ملامحهم وسمات وجوههم التي يرسمونها على اصداعهم ويرى هذه السمات في وجوه النوبيين والسودانيين واليرباوين على السواء.

والآخرون يقولون أن مؤسس مدينة اليفى رجل من سلالة نمرود أو كنعان طرده يعرب بن قحطان من العراق وهرب إلى هذه البلاد وينسب هذا القول إلى السلطان محمد بللو في كتابه «انفاق الميسور». ومن قائل أن الرجل يدعى نمرود طرده المسلمون من بلاده بعد قتال عنيف وفر هو وأولاده بوثنيتهم إلى هذه البلاد وقائل آخر يروي أن الرجل اسمه هُودُونُوا ولعله من «هَدَنَدُو» بالسودان وهو أول من سكن هذه المدينة هو وزوجته وبنوه ثم بعد موته أصبح أولاده جميعاً ملوكاً على البلاد.

وفي رواية أنه أدرك بها أناساً ولكن جهلهم بنظام الحكم افسح مجالاً لهذا الرجل أن يديرهم ويسوسهم، ويتملك عليهم مدى حياته، ولما مات خلف ستة أولاد وبناتاً واحدة. اتجه كل ولد من الأولاد إلى ناحية من نواحي هذه البلاد. فأصبح ملكاً متوجاً عليها. أولهم ملك مدينة بنين، والثاني ملك مدينة إلح، والثالث ملك مدينة كيتو، والرابع ملك مدينة بوبو والخامس ملك مدينة أوهو والسادس ملك مدينة اليفى الذي انتقل أخيراً إلى مدينة أويو، واستخلف نائباً في مدينة اليفى يحمل لقب أونى. هذا الذي رجحه سمويل جونسن.

النقد والتعليق :

إن القول بأن الجد الأعلى لليوربا من أبناء كنعان. الذين طردهم يعرب بن قحطان إلى أرض يوربا فيه غفلة سافرة وتناقض واضح. ماهي الجريمة التي ارتكبها أبناء كنعان حتى طردهم من أجلها يعرب من العراق..؟ وهل يوجد في تاريخ العراق، وفي تاريخ يعرب بن

قحطان مايؤيد هذا القول .. ؟ كلا. إن قبائل يوربا منتسبون إلى يعرب وهذا الاسم وحده يكفي لاثبات هذه النسبة فكيف يصح البرهان المنطقي أن ينتسبوا إلى عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم بغير حق إن صح هذا القول؟

والواقع أن علماءنا الأقدمين هم الذين يلفقون هذه الظنات، ويحملون أقوياء بلادهم على من يجدون أخباره في القرآن والتاريخ، فحملوا الألف الذي هو أعظم ملك يعرف في بلاد يوربا على أنه من بقايا أو من سلالة نمرود أعظم ملك في الدنيا القديمة على حسب ما يقرأون عنه في التاريخ والتفسير.

وكذلك حملوا الانجليز الذين استعمروهم واستعبدوهم على أنهم بنو إسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين، ولا يزال كثير من علمائنا حتى اليوم يظنون أن الانجليز وفرنسا هم بنو إسرائيل المذكورون في القرآن مستدلين على ذلك بتفوقهم على الشعوب، وتغلبهم على الأمم، واستعمارهم للبلاد واستعبادهم للشعوب واستذلالهم الملوك.

إن القول بأن قبائل يوربا ملوكاً ورعية يرجعون إلى أصل واحد أو أن رجلاً توج نفسه ملكاً على بنيهِ، أو أبناء رجل واحد تملكوا جميعاً على البلاد المختلفة في زمن واحد بدون قتال أو احتلال عسكري فكل ذلك قول بعيد عن الحقيقة والواقع. أما ما يذكر في تاريخ هوسا من مثل هذه القصة فإن تلك القرائن احتمالها غير ما يذكر في تاريخ يوربا فكلها مضطربة متناقضة متعارضة.

والذي نراه صحيحاً وسوف يوافقنا عليه القارئ بعد متابعة سيرنا في النهاية أن مدينة اليفى أقدم مدينة في بلاد يوريا، ويحتمل أن يكون سكانها الأولون من النيغرو، ثم نزل بها المصريون ثم اليورباويون «العرب» قبل غزوهم من أويو واستعمروهم.

كما نعتقد أن يوريا من قبائل العرب، أو من أبناء يعرب، ولهذا انتسبوا إليه، وأن فروع يوريا المعروفة اليوم. ليست من أصل واحد - كما يزعمون - بل انتحل أكثرهم الانتساب إلى يوريا، وتكلموا بلغتهم أيام أن بلغت المملكة اليوربية أوج مجدها، واستعمروا كثيراً من هذه البلاد.

وقد تكونت قبائل يوريا الحالية من عناصر متعددة أهمها: الزنوج والنوبة والبرابرة والعرب، ويستدل على ذلك بتعدد عناصرهم واختلاف لهجاتهم وملامحهم، وكون القبائل المجاورة لمدينة أويو أفصح لساناً وأبلغ تعبيراً من القبائل الباقية.

هذا وقد وجد في مدينة اليفى آثار الفن الفرعوني. من المسلة الحجرية وتمثال الرؤوس المصورة من الخزف، وبعضها من النحاس، وبعضها من الحجارة. كما وجد على الجدران، وألواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية، وكذلك قبورهم وتقاليد دفن موتاهم ونحو ذلك. مما يثبت العلاقة بين سكان اليفى الأصليين وبين المصريين القدماء. انتهى كلامه.

وقال الشيخ مصطفى زغلول السنوسي :

أصل قبائل يوريا :

وأما عن أصل يوريا فلقد ذكر شيف بدأ في كتابه تاريخ أيو «أن يوريا أتى جددهم الأعلى من مصر في عام ٧٨٢م، وأن هنالك

ما يصدقه من معالم الحفريات وآثار الأعمال اليدوية الفنية التي عرفت مع الأمم المصرية في عهد الفراعنة والتي عثرت عليها في مدينة اليفي واسعى من مدن يوربا القديمة^(١)، وكذلك ذكر المؤرخ الكبير الشيخ آدم عبدالله الإلوري في كتابه «أصل قبائل يوربا»، وقال: «تشهد أن قبيلة يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية المهاجرة إلى شمال إفريقيا، ثم طوردوا منها واستفاضوا إلى غربها شواهد عديدة من العادات والتقاليد واللغات»^(٢).

ولقد أيد الدكتور لوкас في كتابه الرأي القائل بأن يوربا أتوا من مصر بأدلة كثيرة منها أن هناك تقارباً وتجانساً بين لغة يوربا والعربية، وأنهى حديثه بأن يوربا خرجوا من مصر، ثم وصلوا إلى السودان ثم إلى منطقتهم الحالية^(٣).

ويرجح مستر أبغولا في كتابه. القول القائل بأن يوربا ينتسب إلى قريش في مكة، وأن «يَعْرُبَ» هو جدّهم الأعلى، ومنه اشتق اسم يوربا، واختتم حديثه بقوله: إنني لأعتقد بأن كل ما حكيتّه هذا لا يأتي عليه في المستقبل حجر الحقائق الثابتة، ومضرب الأبحاث الصادقة يضربه ويصدعه ويستأصله، ثم يجلوه في لباس كذب خالص، لأن الأساس الذي بنينا هذه الروايات عليه غير ثابت، بل هو يهتز ويتزلزل لأن غالبيتها حكايات شفهوية، وقلما تفوت من الأساطير والأكاذيب^(٤).

(1) The History of Oyo.

(2) The Origin of the Yoruba.

(٣) أصل قبائل يوربا.

(4) A Textbook on W. African History.

ويقول مستر لاتنبوسن في كتابه: «وآخر القول الذي أختاره وأعمل به. بعد أقوال عديدة وحكايات كثيرة. أن يوربا أتوا إلى هذا المكان (اليفي) من مكان آخر، وأن اليفي ليست موطنهم الأصلي، ولا مسقط رأسهم الأول، وأن تاريخ وصولهم يرجع إلى ١٠٠٠ - ١١٠٠م، وأن هؤلاء يوربا القدامى أتوا من أراضي مصر، وكل هذا ثابت بل حقيقة لاتنكر^(١).

ومن المؤرخين الأجانب الذين أثبتوا إثر طول بحثهم العميق، وبعد تقديم التاريخي الصحيح، أن يوربا نزحوا إلى هذه البلاد من شرق إفريقيا، منهم مستر دينس پولم في كتابه «الحضارات الإفريقية»، لأنه يؤمن بأن هنالك شباها عظيما بين تقاليد يوربا وعاداتهم، وبين تقاليد المصريين القدامى، وحتى في دفن الأموات، وقال: كما أن الحفريات - التي جرت في مقابرهم - دلّت على وجود طقوس في دفن الموتى قريبة من الطقوس التي كان يمارسها حكام غانا في غرب القارة الإفريقية، ومن بين الأدوات البرونزية التي اكتشفت حديثاً في بلاد يوربا في نيجيريا. نرى بعض القبعات الملكية التي تذكرنا بتيجان حكام النوبة^(٢). أما الغرض الأساسي من سرد هذه الحكايات والروايات، فهو إثبات القول بأن يوربا لهم صلة نسبية مع العرب وأن قبيلة يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية من شرق إفريقيا.

(1) History of W. African.

(٢) الحضارات الإفريقية.

فليعلم القراء أنه ليست الغاية في نسبة قبيلة يوربا إلى إحدى العناصر العربية في شرق إفريقيا، أو في شمالها، وفي ربطها مع أمة من الأمم السامية كسب فضل أو شهرة أو فخر، وأنه ليست نسبة مصطنعة يقصد بها تحريف الحقائق التاريخية. لغرض نسبة القبيلة إلى عنصر أشرف الرسل نبينا محمد (ﷺ). إذ الإسلام لا ينظر إلى جهة نسب ولا إلى طرف حسب، ولا يجعلها ميزان الشرف إنما ينظر دائماً إلى جهة الإيمان والتقوى. وذلك لأن نسبة القبائل إلى العنصر العربي أصبح شيئاً شائعاً. يغبط بها كثير من الذين ليست بينهم وبين العنصر العربي أدنى صلة نسبية، وأقل قرابه عنصرية حتى قال الشيخ إبراهيم صالح في كتابه: فما من قبيلة إلا وهي تقول إنها من العرب كأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق إلا العرب، ومرد ذلك إلى السياسات في تلك العصور، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأسر المالكة كانت أشد ادعاءً للعروبة من غيرها كما نرى في قبائل البرنو والفولاني.^(١)

وأما نسبة العنصر اليرباوي إلى إحدى العناصر العربية، فتعود إلى أسباب كثيرة، ومنها وجود التماثل المنحوتة من الشجر والحجر والنحاس في بلاد يوربا، فالآثار التي عثر عليها علماء الحفريات في اليَفَى، وغيرها من مدن يوربا القديمة، وما نقل عن أهلها القدامى. ليدل دلالة صادقة على أن يوربا هو على حظ غير قليل من الفن، وعلى صلة متينة ورابطة نسبية وثيقة مع المصريين القدامى، وقال دنيس پولم: هناك دلائل واضحة للنفوذ المصري في كل إفريقيا

(١) تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو.

الشرقية وحتى في نيجيريا منطقة يوربا. حيث نرى احتفالات التنصيب واحتفالات تجديد بعض الملوك المقدسين. تذكرنا تماماً بالطقوس المصرية^(١).

ومنها تقاليد يوربا وعاداتهم التي تشبه عادات المصريين، وتبدو تلك في نظام الزواج والزفاف، وفي تشابه الأسواق الليلية في المدن والقرى وفي الفخر بالأنساب والأجداد الذي يعتبر كإحدى الأخلاق العربية الأصيلة التي حاربها الإسلام، واعتبره بقية من الرواسب الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وأكبر ذلك كله اتفاق جميع المؤرخين الذين كتبوا عن هذه القبيلة وأوائلهم، وأواخرهم على أن يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية وذلك في نهاية مطافهم في أجواء الأبحاث الدقيقة على اختلاف تصوراتهم، وعقائدهم وعلى تباينهم في الملل والنحل، بل تباعد أجيالهم وعصورهم.

ولقد ذكر الدكتور باذل دافدسن في كتابه «إفريقيا تحت أضواء جديدة» وقال: أما التفسير الذي يلجأ إليه بعض المؤرخين، وهو أن الأثر الخارجي لعب دوره في هذه الظاهرة الفريدة، فلا يجد كثيراً يدعمه إلا إذا بنينا منطقاً متكاملأ على مايقوله شعب يوربا في ايف عن أسلافهم الأبعدين. الذين أتوا من الشرق، وعلى ما انتهى إليه بيوباكو من أبحاثه العدة. حين شعر بأن هناك ما يحمله على الظن بأن يوربا هاجرت، ولاشك إلى أوطانها الحالية. من إقليم تعرضوا فيه

(١) ص ٣٦ الحضارات العربية.

لأثر المصريين القدماء، ويمضي فيحدد لنا ذلك بقوله: أن هجرة يوريا من الشرق الأدنى. كانت في وقت ما بين ٦٠٠ وسنة ١٠٠٠ ميلادية. ومهما يكن من أمر فإن الذي يجمع عليه الباحثون. هو أن الأثر الشرقي على ثقافة يوريا ليس هيناً أو ضئيلاً، كما قد يخطر بالبال الآن^(١). ويقول بازل دافدسن أيضاً. عندما يتحدث عن الوحدة الأفريقية القديمة التي تثبتها حقائق التاريخ، وتسير الشواهد على هذه الوحدة الأفريقية خطوة أخرى. حين نرى الفن في ايف وبنين. يلجأ إلى استعمال طريقة في صب البرنز والنحاس. هي عين الطريقة التي عرفتتها شعوب النيل^(٢).

والخلاصة من هذه الروايات كلها أن جميع البحوث العلمية التي قامت بها جهود فردية أو جماعية. تفيد بأن يوريا نزحت من إحدى العناصر العربية، سواء في شرق أفريقيا أو في شمالها، ولكن الأرجح أن نزوحهم هذا، أو هجرتهم هذه وقع بعد مجيء الإسلام بنوره، وشرعته لأن أسماء الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام والملوك الطغاة أمثال نمرود وفرعون، ترددها السنة قدماء يوريا الكفار. في حين لم يكن للإسلام ذكر في هذه البلاد يومئذ، حتى نقول بأنهم سمعوه من أفواه العلماء. كما أن حفريات الآثار والمعالم التي عثرت عليها في مدن يوريا القديمة، كمدينة اليفي واسعي. تشير وتدل دلالة صادقة بأن هناك صلة وثيقة بين قدماء يوريا وبين المصريين القدماء، أو بين النوبيين كما تشهد الحفريات الأخيرة ومعالم التاريخ الأثرية.

(١) ص ٢٠٧ أفريقيا تحت أضواء جديدة.

(٢) ص ٢٠٨ المصدر السابق.

ولكن أملنا كبير فيما يكشفه المستقبل عن الغوامض التاريخية ويجلوه الغد في صفحات واضحة. إذا استمر الباحثون في بحوثهم، وجد العلماء في استنباط الحفريات، والأعمال الفنية الموجودة حالياً تنطق بصراحة بأن مخرج يوريا القديم هو الشرق. وقال بازل دافدسن في ختام حديثه: كان الناس يهاجرون من النيل إلى شاد، ومن شاد إلى النيل يحملون في قلوبهم وأيديهم خلال رحلاتهم الشاقة عقائدهم التي يعتقدون وفنونهم التي يمارسون، وأصدق شاهد على هذا التزاوج العقائدي الفني. أنك لن تجد اليوم قبيلة معروفة في غرب أفريقيا لا يتصل نسبها البعيد فيما تقول أساطيرها المتوارثة بأصول بعيدة في الشرق والشمال. وتكتمل هذه القصص أحياناً. حتى ليستطيع الباحث أن يخمن الزمان الذي نزع فيه أسلاف هذه القبائل من الشمال أو الشرق إلى غرب أفريقيا، كما فعل العلامة بيوباكا، وهو يدرس الأصول القديمة لقبيلة يوريا التي أسست حضارة جنوب نيجيريا. حيث استمع في أناة إلى قصص أهلها، وانتهى إلى أن المؤسسين الرواد لهذه القبيلة أتوا نيجيريا من النيل الأوسط بين القرن السابع والعاشر، وليكن التاريخ موضع تساؤل، ولكن الذي لا يجادل عالم. هو أن الأصول الشرقية لهذه القبيلة، ولغيرها من كثير من قبائل نيجيريا. ليست موضع شك عندها، والقصص والأساطير إن لم تكن دليلاً على الأصول الشرقية فهي دليل على الأثر الشرقي الذي اختبره القوم في هذه المنطقة. وهناك ما يؤيد ما تشير إليه الأساطير، وهي شواهد مادية ملموسة اهـ.

مدينة إبادن :

وصلنا مدينة إبادن في الساعة الثالثة والرابع، وكان مدخل المدينة قد أغلق ببوابات تمنع الداخلين إلا إذا دفعوا رسماً قدره نيرتان، أو قدموا إيصالاً يفيد بأنهم قد دفعوها عند الخروج من لاجوس.

أول ما رأيناه من مدينة إبادن بيوت إسمنتية متفرقة ذات سقوف مسنمة وأكوام من القمامة غير بعيدة من الطريق.

ثم استمرت الضواحي ذات البيوت المتطامنة، والسقوف الزنكية الجيدة، ثم عمارات جيدة البناء ذات طوابق متعددة.

وقد لفت نظري في هذا المدخل من المدينة. أنه تتخلل المنطقة التي فيها البيوت والعمارات مساحة من الأرض الخالية، وقد عرفت بعد ذلك أن مجيئنا كان من الطريق العام الذي انشيء حديثاً، وهو يتفادى بعض الأماكن المزدحمة فيها.

وعند مدخل البلدة المزدحم رأينا صفّاً طويلاً من الشاحنات الواقفة وأخبرونا بأنها ممنوعة من الدخول إلى المدينة في جزء من النهار لئلا تزيد ازدحام السيارات الموجودة بالفعل دون هذه الشاحنات.

ثم وصلنا مع شارع جيد السفلة، ولكن بعض البيوت التي تقع عليه رديئة ذات سقوف من الصفيح الصديء.

حوانيت من الحبال :

تختلف أنواع الحوانيت، وهي مايعبر عنه في العامية بالدكاكين. في بلد عن بعض البلدان الأخرى. ففي حين كان أبرز الحوانيت في

اندونيسيا ماأسميته في كتاب: «في أندونيسيا أكبر بلاد المسلمين»
بحوانيت الأكتاف، وذلك لأن البائع يضع بضاعته في وعائين
كالزبيلين المتعادلين، ويحملها بعصا على كتفيه ويظل هكذا يمشي
وهو يحملها.

وفي مدينة (إبادان) لاحظت عندما دخلت البلد صفاً طويلاً من
الملابس المنشورة على أعواد أو قضبان من الحديد، فسألت عنها أهي
تغسل مع أنها فيما يظهر جديدة؟ فأجابوا: لا إنهم يعرضونها بهذه
الطريقة للبيع. ثم تكرر بعد ذلك هذا المنظر في عدة أماكن من المدينة،
حتى في (جامعة إبادان) نفسها.

وامتد الشارع الجيد فأصبحت تحف به عمارات جيدة ذات طبقات
متعددة، ثم بيوت قديمة، وبسطات تحت سقوف من الزنك تحملها
أعواد أو أخشاب.

وقد أصبح زحام السيارات شديداً الآن لأننا على وشك أن ندخل
بوابة.

جامعة إبادان ،

وكان القصد من ذلك أن نرى الأستاذ علوي آدم المدرس بقسم
الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة إبادان، ومبعوث رئاسة الإفتاء
والدعوة في المملكة إلى نيجيريا، وذلك لأننا أخبرناه أن يحجز لنا فندقاً
مناسباً، فقصدنا بيته في الجامعة، فدخلنا الجامعة وذهبنا إلى مسكنه
ويعرفه الأستاذ عاقب عبدالسلام فركب معنا الأستاذ علوي بعد سلام

وترحيب: تقدمنا بسيارته عبر شوارع طويلة، ولكنها غير مستقيمة في هذه الجامعة الواسعة، حتى أوقفنا في مكان ظليل، وذهب مع الأخ عاقب، ثم طلب جوازاتنا وعاد ومعه بعض الخدم لينزل أمتعتنا فقلنا إلى أين؟ فقال لأنكم:

ضيوف الجامعة :

فقلت له: وماهي (صلتنا) بالمسؤولين بها؟ فأجاب: إنكم ضيوف على قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها، فرئيسه مسلم وأكثر أعضاء التدريس فيه مسلمون، وأنا من أعضائه، وقد طلبوا أن تكونوا ضيوفاً عليهم.

فقلت له: إنني لأسكن في بيت خاص. فقال: أنتم ستسكنون في فندق الجامعة، وهو هذا وأشار إلى بناء قريب نظيف المظهر، جيد البناء، ودخلنا الغرف فإذا بها في مستوى فنادق الدرجة الأولى في كل شيء حتى الماء الحار مستمر الجريان، وفي كل غرفة مكيف جيد، ونظافته فائقة، وهو فندق من ثلاث طبقات. في كل طبقة عدد من الغرف يفصل بينها ممر.

وكان مكاناً مريحاً لم نكن نحلم بأن نجد مثله في فندق فخم، والأهم من ذلك أنه في داخل الجامعة، والجامعة محروسة تتوفر فيها ظروف أمن أفضل.

وقال الشيخ علوي بلباقته المعهودة أنتم الآن بلا شك بحاجة إلى الراحة بعد السفر، لذا سوف أطلب لكم الشاي ثم أنصرف وأتي إليكم مساءً.

وذهبت أتمشى فيما قرب مني من الجامعة فألفيتها تعتبر مدينة صغيرة، أو قرية كبيرة، وإذا فيها حوانيت للبيع، من بينها مكتبة ضخمة لبيع الكتب والقرطاسيات، وحوانيت لبيع الفاكهة و(بسطات) لبيع التحف أكثر من فيها من البائعات اللاتي تعودن على استغلال الأجانب فيرفعن أسعارهن رفعاً شديداً، عسى أن يخفضها المشتري خفضاً هو بالنسبة إلى رأس مالهن رفع.

وإذا بأعداد من الطالبات في الجامعة، وقد بدون لي أكثر احتشاماً وتستراً من النساء غير المتعلمات خارج الجامعة.

وذلك خلاف ما عليه الحال في أكثر البلدان العربية. حين تكون طالبة الجامعة مثلاً للتحرر، وعدم الاحتشام، أو هكذا كان الانطباع عنها في أذهان كثير من الناس.

أما شوارع الجامعة فإنها مسفلتة، وساحاتها فيها ممرات مبلطة وسائرهما فيه حشائش إلا أنها صفراء هامة لبعد عهدهما بالمطر، إذ نحن الآن في فصل الجفاف، وموسم الأمطار يحين في العادة في آخر الشهر الثالث. الذي نحن فيه، أو في أول الشهر الرابع شهر نيسان (إبريل).

وأكثر الأشجار بروزاً في هذه الجامعة، وحدائقها الجزورينا أو الأثل الأمريكي، والبنسيان ونحوها من أشجار الظل وفيها قليل من أشجار الموز.

القرآن والإنجيل :

وجدناهم وضعوا في غرف هذا الفندق نسخة من الإنجيل الذين اعتدنا على رؤيته في أكثر غرف الفنادق العالمية، وبجانبه مصحف شريف معانيه قد ترجمت إلى الانكليزية.

وكان العشاء في مطعم الجامعة، وكانت السهرة في ناد فيها. ضمت ثلاثة من المبعوثين العراقيين لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. في هذه البلاد. على نفقة الحكومة العراقية، واثنين من إخواننا المصريين العاملين في نيجيريا. بالإضافة إلى الشيخ علوي علي آدم، وكانت جلسة ممتعة أفادتني كثيراً.

يوم الخميس : ٢٠/٥/١٤٠١هـ - ٢٦/٣/١٩٨١م

المسجد العظيم :

كانت أولى فقرات العمل في هذا الصباح. تفقد الجامع الكبير الذي يجري بناؤه الآن في جامعة إبادان. التي كانت أسست أول ما أسست في عام ١٩٤٨م، بواسطة أناس ذوي ميول نصرانية.

وأسسوا فيها أول ما أسسوا كنيستين مشرفتين، إحداهما للكاثوليكين، والأخرى للبروتستانتين، وقام المسلمون الأوائل المنتسبين إليها ببناء مسجد صغير خفي المبنى بالنسبة إلى هاتين الكنيستين.

وذلك كان جهدهم، واستطاعتهم في ذلك الوقت. غير أن إخواننا المسلمين في هذه البلاد. قد نهضوا ببناء جامع كبير. مشرف المنار، عالي الشعار. يتسع لآلاف المصلين والمصليات، لأن المقصود من بنائه أن يكون لمن في الجامعة، ومن يحب أن يصلي فيه من خارجها. وليس ذلك فحسب، وإنما كان بناؤه جزلاً قوياً مرشحاً لأن يعيش مئات السنين.

وكان رفقاء الذهاب إليه. الشيخ علوي علي آدم والأخ (كامل كويجي أولوسو) رئيس حركة الطلبة النيجيريين في السابق، ولا يزال من زعماء هذه الحركة حتى الآن.

فاستقبلنا عند مبنى الجامع الضخم. الذي لم يكتمل بعد، وقد رأيناهم الآن يسعون في عمل الأخشاب للقبة العربية الجميلة. تقوم على تنفيذ بنائه شركة مقاولات ايطالية. رأينا مهندسها الايطالي المسئول موجوداً في الموقع.

وقال لنا إخواننا: أن المملكة العربية السعودية تبرعت لهذا الجامع بمليون ريال سعودي، وأنه أكبر تبرع تلقوه من جهة واحدة، وما ذلك -والحق يقال- بالكثير عليه، والتبرع له ولأمثاله من المشروعات الإسلامية الباقية على الزمن. مما ينبغي أن يكثر ويتكرر. فهي ذات نفع مستمر متجدد، وهي شواهد صدق على التعاون الإسلامي، والتضامن بين المسلمين في شتى أقطارهم وأمصارهم.

وجدنا في الاستقبال عند المسجد المهندس سمير أحمد السيد مصري الجنسية، وهو المهندس المشرف على مشروعات جامعة إبادن الهندسية، ويشرف على هذا المسجد على اعتباره أنه من الأعمال التي تقوم بالإشراف عليها الجامعة، لأنه في وسطها وأنشيء من أجل منفعة أساتذتها وطلابها وموظفيها من المسلمين.

وقال المهندس سمير: إن تكاليف المسجد بلغت ثلاثة عشر مليون ريال، وأنه - أي المهندس سمير - على وشك أن يترك العمل في الجامعة. غير أنه لا يريد أن يفعل ذلك قبل أن ينتهي موضوع المسجد، لأنه يريد أن يطمئن على العمل فيه.

وقال لنا إخواننا: إن رئيس لجنة المسجد هو الشيخ موسى عبدالله نائب رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة.

وقد جال بنا المهندس سمير في أنحاء المسجد. يشرح ويوضح الأعمال التي تمت، وما سيكون عليه المسجد إذا تم جميعه.

ومن أطرف مافيه أن الأعمدة مجعولة على هيئة زهرة، ذات جزء أعلى مرتفع، وأسفل أقل سماكة، وسيكون كله على طراز عربي كامل، بحيث يكون شاهداً على الهندسة المعمارية الإسلامية في هذه الجامعة الإفريقية الكبيرة.

ومن اللطيف في الأمر أنه مقام على أرض من الجامعة وهبتها للمسجد، ولكنها في الأصل كانت قد خصصتها لهذا الغرض، وأسمتها (أرض العبادة)، وهي مساحة واسعة، بحيث تضم الآن كنيستين ومسجدين: هذا الكبير والأول الصغير، وماتزال فيها مساحة من الفراغ، ويذكر أنه لا توجد معابد فيها لغير المسلمين والمسيحيين. فالدين الثالث الموجود له معتنقون في الجامعة هو الوثنية، أو على الأدق الدين الذي كان عليه أهل البلاد قبل دخول الإسلام والنصرانية إليها. وقد أخذوا يسمونه الآن (الدين التقليدي) فراراً من الوثنية، ولو أن بعض أهله من الوثنيين قد أصبحوا متعلمين، وهو وثني بالفعل يعبد آلهة متعددة سواء أرضي أهله بتسمية الوثنيين أم أبوها.

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري وهو من أهل هذه المنطقة، ومن علماء نيجيريا ومؤلفيها.

إبادن :

وهو اسم أطلقوه على المدينة التي صارت اليوم قاعدة الإقليم الغربي من أقاليم نيجيريا، وهي أكبر بلاد غرب إفريقيا وأكثرها سكاناً. فيها

كلية جامعية تأسست سنة ١٩٤٨م، وهي ربيبة جامعة لندن الشهيرة. وقد كانت مدينة إبادان بالقرن الماضي. مركزاً هاماً للتعليم العربي. يقصده الطلاب من كافة بلاد يوربا، وهي تنزل الدرجة الثانية من مدينة إلورن، وكانوا يتخصصون في الفقه المالكي.

تأسيس المدينة :

ويرجع تأسيس هذه المدينة إلى نحو ١٧٨٨م وقد زعموا أن مؤسسها رجل من إيفى ويسمى لَغِيلُو اتخذ هذا المكان موطناً له ثم لحق به بعض الأوباش المشردين من البلاد المجاورة وكانت حينذاك تابعة لمدينة بيكوتا القديمة ثم وقعت حروب دامية بينها وبين أويو وانتهت بتخريب إبادن وتشتيت أهلها ثم أعادوا تأسيسها سنة ١٨١٠م بالقرب من المكان الأول وأخذت في التقدم والازدهار منذ أن أوى إليها المحاربون من بلاد حيبو وإيفى على أثر عودتهم من محاربة مدينة أوهو.

وقد تعسكر هؤلاء المحاربون بها على قصد تأليف عصابة تقوم بشن الغارات على القرى المجاورة ولم تلبث أن صارت مدينة ذات حكومة معترف بها بين الحكومات المجاورة. وكانت حكومتهم شبه نظام ديمقراطي انتخابي جمهوري تحت رئيس يحمل لقب بألى الذي لا يدوم على كرسي الرئاسة أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يعزلوه أو يغتالوه لينفسح المجال للآخرين.

وقد كانت تابعة لمدينة أويو كسائر بلاد يوربا ربحاً من الزمان ثم انفصلت عنها كما انفصل غيرها وعمل زعمائها في انهاضها

وتقدمها في مدارج الرقي حتى أصبحت قاعدة الإقليم الغربي ومن الذين عملوا لرفعة شأنها في القرن الماضي هو الوالي عثمان بشورن الذي أوفد إليها جلة العلماء من بلاد هوسا وأنفق على نشر التعليم العربي من جيبه الخاص ثم حذا حذوه بالي شئت ثم عباس أولوبدن وكلهم مسلمون مخلصون شيدوا المساجد ونوهوا بفضل العلم والعلماء.

ومن العلماء الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم العربي وبث الدعوة الإسلامية في إبادان^(١). الشيخ عثمان الدندي الذي تولى الإمامة فيها سنة ١٨٣٩م ثم الشيخ أبو بكر بن صاحب الكرسي الذي قُتل ظلماً في طريق الحج ثم الإمام هارون بن سلطان الذي يدعى بالشيخ الأكبر لأهل إبادان وكانت وفاته ١٩٣٥م.

وهؤلاء الذين تعاونوا مع أولئك الرؤساء في توطيد دعائم الإسلام وارساء رواسي العلم العربي في مدينة إبادن وما جاورها من بلاد يوربا واستقدموا المرشدين والمدرسين إلى إبادن من إلورن وغيرها من بلاد هوسا اهـ.

جولة في مدينة إبادن :

اسمها من لغة قبيلة اليوربا التي تؤلف أكثر السكان بل كل السكان الأصليين فيها وتعني بهذه اللغة: المكان القريب من البادية. وأصل تسميتها (أباودن) خففت إلى إبادن بحذف الواو.

(١) من مذكرات الشيخ أحمد الرفاعي مفتي مدينة إبادن.

وقالوا: إنها رغم كبرها حديثة لايزيد عمرها على مائتي عام.

ولما سألتهم عن العدد التقريبي لسكانها لم أجدهم يعرفونه لأنهم اختلفوا في ذلك وأوسط التقديرات وأقربها إلى الصواب أنه في حدود أربعة ملايين، ولكن المرء الذي يدخلها لأول مرة لا يتصورها تماماً ويظن أنها أقل منه لأنها مؤلفة من رواب طينية ومنخفضات بينها على هيئة وديان غير مستطيلة، ولذلك تختفي طائفة من البيوت عن العين إذا نظر إليها المرء من جهة واحدة اضافة إلى وجود مساحات من الفراغ بين أحيائها تجعلها تبدو كأنها غير مأهولة.

وقد خرجنا من الجامعة إلى شارع هام اسمه (شارع بودجا) المرور فيه كثيف ولذلك يصعب الدخول إليه بالسيارة بسرعة.

ورأينا فيه طائفة من الجنود ببنادقهم الجاهزة الاطلاق يفتشون بعض السيارات التي يشتبهون بها حذراً من أن تكون مسروقة، أو أن يكون فيها شيء مسروق. وهم غير جنود المرور لايتدخلون إلا عند اللزوم.

وفوق هذا الشارع جسر لمرور السيارات التي تقطعه حتى لاتوقف السير.

وقد رأينا جماعة يسيرون السيارات وينظمون مرورها في الشوارع أخبرنا إخواننا أنهم من المتبرعين بذلك، وليسوا من جنود المرور وإنما يساعدون على ذلك وأن الحكومة تعطيهم سلطة جنود المرور فيما يختص بتنظيم السير.

المدرسة الإسلامية العالية :

هذه هي الترجمة الحرفية لاسمها (إسلامك هاي سكول) والمراد بذلك المدرسة الإسلامية الثانوية فإلعالفة هنا: تعني مانسميه في بلادنا بالثانوية.

وهذه المدرسة كانت ثانوية إسلامفة أنشأها المسلمون بأموالهم ليدررر فيها أولادهم مايفأأأون إلفه من دراساا مافنة وافنة؁ ولكن الحكومة صافرها عافا صافرا أفع المافر النظامفة الخاصة؁ ومن بفنها مافر نصرانفة كانت افرها هفأا وأفعفا نصرانفة فأأا الأففد والعون المافف والمعنوف من الهفأا النصرانفة فف الأارأ.

وعافا سمعا أن الحكومة أأأها من أصأابها المسلمف اساعظما ذلك وظهر الأزن على وأهف فسارعا فقولون: إنه لاداعف لذلك؁ لأن الحكومة صافرا أفع المافر الخاصة.

وأن الوضع الأفلفف أحسن مما كان علفه قبل المصافرة ذلك بأن أولاد المسلمف لم فكونوا فف السابق فأدون فرصاً كاففة للأفلف؁ لأن الأفلف فكون بمصارفف وأن أولاد المسفأفف فأدون فرصاً أففة للأفلف فف المافر النصرانفة الف فأرف علفها الارسالفاف الأفنبفة.

فأصبح الأفلف الثانوف فف الوقت الأاضر مأانفا للأفعف وذلك أفاد طوائف من أولاد المسلمف الذفن لم فكونوا فسأطفعون مواصلة أفلفهم قبل ذلك بسبب عأهم عن اف المصارفف.

كما أن مدارس الارساليات الأجنبية التي كانت تعتبر مدارس متميزة مقصورة على المسيحيين وإذا أراد أحد من أبناء المسلمين أن يلتحق بها فإنه لابد من أن يغير اسمه، ويتعلم الديانة المسيحية وكثيراً ماكانوا يؤثرون عليه. إن تلك المدارس النصرانية السابقة أصبحت ملزمة بأن تقبل أبناء المسلمين لأنها أصبحت مدارس حكومية.

وسألتهم: هل معنى ذلك أن أبناء المسيحيين يستطيعون أن يدخلوا في مدارس المسلمين التي أخذتها منهم الحكومة فأجابوا: نعم، غير أن نسبتهم قليلة والمصلحة الراجحة مع المسلمين لأنهم الأكثرية التي كانت محرومة من فرص التعليم.

ولكن المشكلة الحاضرة هي أن معظم المدرسين من المسيحيين لأن نسبة التعليم والتأهيل للوظائف فيهم أعلى من نسبتها في المسلمين لما كانوا يحصلون عليه من فرص تعليمية في مدارس الارساليات المسماة بالتبشيرية.

ودخلنا (المدرسة الإسلامية الثانوية) واسمها لم يتغير بعد استيلاء الحكومة عليها فإذا بها في فناء واسع جداً، وذات أبنية واسعة متفرقة، فاستقبلنا مديرها الشيخ (عبدالغني أدى مولا صلاح الدين) وصلاح الدين ينطقونها (صالو) وهو متخرج من الأزهر لذلك يتكلم العربية بطلاقة وإذا تحدثت إليه خيل إليك أنك تتحدث إلى سوداني مثقف أو صومالي مقيم في البلاد العربية.

وبعد أن هلا المدير ورحب أخبرنا أن مجموع طلاب المدرسة هو (٨٣٣)، ٩٣٪ منهم مسلمون وأما المدرسون فأغلبهم من المسيحيين

وهناك مدرسون مسلمون لتعليم اللغة العربية والمواد الإسلامية. وقال: إن المشكلة الكبيرة التي يواجهونها الآن هي نقص الكتب المبسطة التي تعلم الأفارقة مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية. لأن اللغة العربية لها خمس حصص في الأسبوع في كل يوم حصة ومع ذلك لا يستفيد الطلاب الاستفادة المطلوبة بسبب صعوبة المقررات.

وقال: إن الحكومة تتكفل بجميع نفقات المدرسة من رواتب المدرسين وغيرها إلا أننا عندما احتجنا إلى بناء مسجد جامع داخل المدرسة يكون للعاملين في المدرسة وللقريبيين منها لم تعطنا الحكومة شيئاً. وقامت لجنة تبرعات تسمى (اللجنة الإسلامية التبشيرية) على بناء المسجد، وقد شاهدناه قد تم بناؤه من الإسمنت المسلح بشكل جيد فوسطه عالي السقف تحيط به أروقة ذات طابقين.

قال إن الذي ينقص المسجد الآن هو التيار الكهربائي والفرش.

مدرسة عصابة الدين :

ليس الغريب في هذه المدرسة اسمها فهو مأخوذ من اسم جمعية نسوية اسمها: (جمعية عصابة الدين) ترأسها الحاجة (أم هاني الاقا) وهي سيدة مسلمة ثرية تتبرع للمشروعات الخيرية وتساعد على أعمال الخير بمالها وجهدها.

ولكن الغريب في هذه المدرسة أنها مدرسة إسلامية للبنات، ومع ذلك أغلب المدرسات فيها هن من المسيحيات حتى قبل أن تستولي عليها الحكومة.

أما الآن وقد استولت عليها الحكومة فيما استولت عليه من المدارس الخاصة فإن مديرتها مسيحية وفيها ثلاثون مدرسة ٤ منهم فقط من المسلمين إحداهن سيلانية من سيلان تزوج بها أحد المسلمين النيجيريين.

وتقوم هؤلاء المدرسات المسلمات الأربع بتدريس المواد الإسلامية واللغة العربية. أما بقية المدرسات فيقمن بتدريس المواد الرسمية الأخرى.

وهي مدرسة معترف بها من الحكومة قبل الاستيلاء عليها بمعنى أن الحكومة تعترف بشهادات المتخرجات منها، وتقبلهن في الجامعات والوظائف الحكومية.

وقد هدف إخواننا من وضع هذه المدرسة في برنامج الزيارات هذا اليوم إلى أن يرونا كيفية حرصهم على تعليم بناتهم مع نقص الامكانيات. كما أنهم يأملون المساعدة على إنشاء مسجد في هذه المدرسة لأن الحكومة لاتنشئ المساجد ولا الكنائس.

ذهب بنا إخواننا إلى مكتب المديرية وهو في مكان مرتفع نوعاً يوصل إليه بعد غرفة واسعة فيها مكاتب السكرتارية أو الإدارة وهي في غرفة واسعة فيها ست من الموظفات مابين كاتبة على الآلة وأخريات لأعرف عملهن وكلهن بطبيعة الحال من الأفريقيات الوطنيات ورأينا المديرية على مكتبها في الإدارة واسمها (سينى أو نفارا) فلم نقم لضيوفها ولم تصافحهم، وليس ذلك حياءً واستحياء فهي كما قلت مسيحية، وعليها لباس بعيد عن الحياء.

كانت هيئتنا عندما دخلنا المدرسة ملفتة للنظر فعلىنا الملابس العربية، ونحن بينهم نعد من البيض.

وقال إخواننا المرافقون ومن بينهم الأخ (كامل أوسو) الذي تعمل زوجته مدرسة في هذه المدرسة الثانوية للبنات: إن زيارتنا للمديرة وحديثنا معها حديثاً مناسباً هو دعوة للإسلام، فنحن نعتز بإخواننا المسلمين في البلاد العربية، ونقول للمسيحيين الإفريقيين أنهم ليسوا كالأوروبيين متعصبين ضد السود.

وبعد عبارات المجاملة، وكانت المديرة مثل كثير من أهل هذه البلاد تضحك لأدنى سبب، وأما النكته، أو الكلمة اللطيفة فإنها تجعلها تضحك ضحكاً قوياً يهتز له جميع كيائها.

وأما السكرتيرات فإننا كنا نراهن أو بعضهن من خلال باب مفتوح مابينهن وبين مكتب المديرة الذي جلسنا فيه فكان بعضهن يسارقن النظر إلى هؤلاء الغرباء في اللون واللباس، وواحدة منهن رأيتها ترقص طويلاً وهي توميء بطرف ثوبها يميناً وشمالاً ولا أدري السبب في ذلك.

وقالت المديرة إن عدد طالبات المدرسة يبلغ سبعمائة وعشراً. ولما سألتها عن عدد المسلمات منهن سكنت قليلاً ثم هزت كتفها بقوة وقالت وهي تضحك: إنني لا أدري إننا لانسأل الملتحقات عن دينهن، لأن هذه مدرسة حكومية لا تميز بين الأديان.

ثم نادى موظفة وطلبت منها أن توضح لنا ذلك إن كانت تعرفه فذهبت وجاءت بالسجلات ولكنها لم تجد فيها ما يفيدنا في هذا الموضوع.

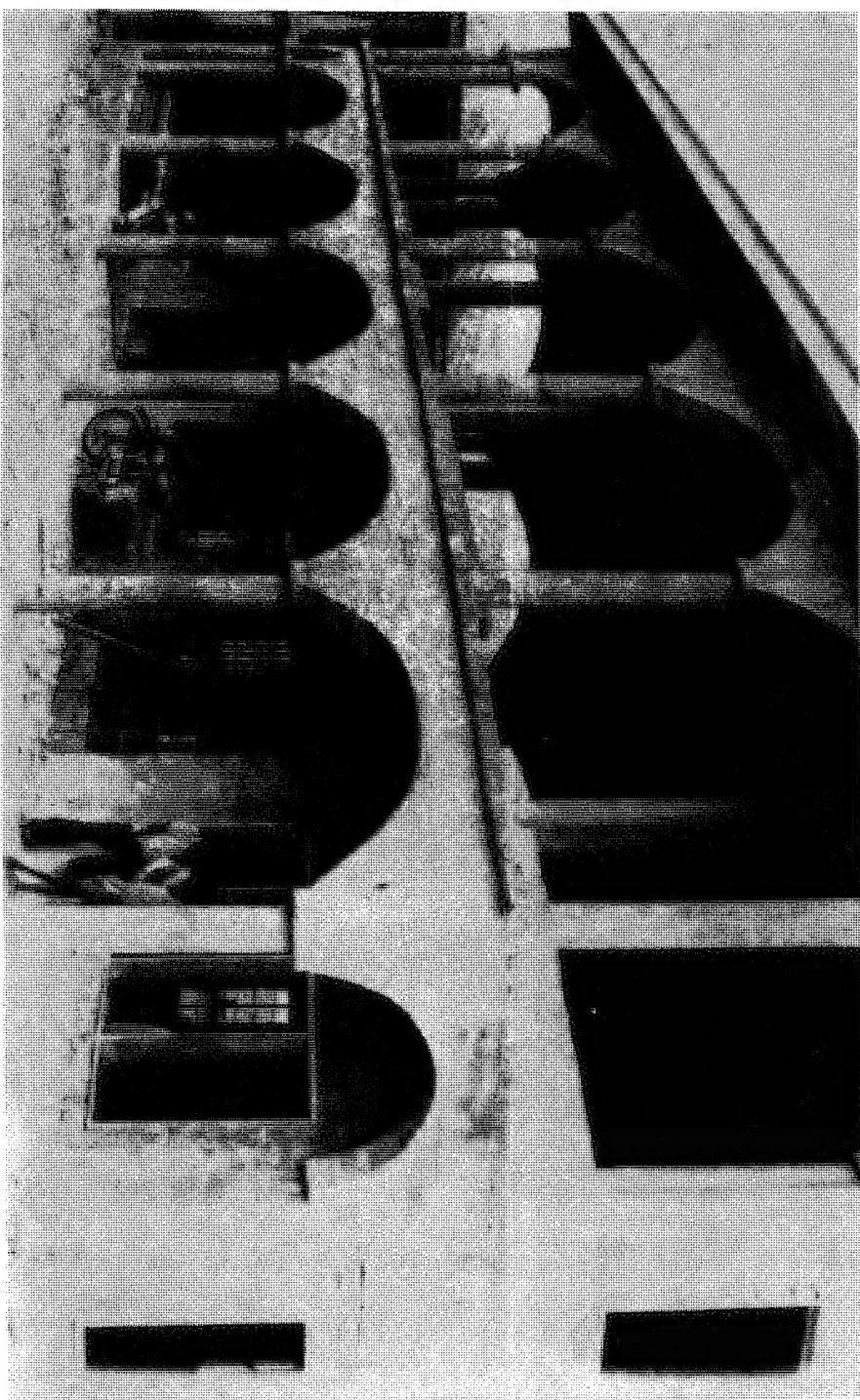
وقال إخواني بالعربية عندما اشتغلت المديرة بحديث إحدى العاملات في المدرسة: إننا بهذه الزيارة والمجاملة نكون قد أفسدنا على الدعاية المسيحية ماكانت قد جعلته يستقر في ذهن هذه المرأة وأمثالها من المتعلمات من كون الإسلام يحقر المرأة وأن الرجل المسلم فظ غليظ، وبخاصة إذا كانت مثل هذه المجاملات من بلاد المسلمين الأصليين.

وكانت قد أخبرتنا أنهم سيشرعون في أول شهر إبريل بالعمل على بناء مسجد في المدرسة وأن المهم في الأمر أن يحصلوا على التبرعات اللازمة للبدء في البناء.

فقلت لها مازحاً وأنا أودعها أرجو أن أراكم مرة ثانية في هذه المدرسة بعد أن يكون المسجد قد اكتمل وأنا أراك مرة أخرى في بلادنا السعودية فسارع أحد الإخوان معلقاً يعني تسلمين وتحجين: فقلت لها: في ذلك الوقت (حاجي دنقارا) فانفجرت بالضحك، ووجهها يطفح بالسرور، وكأنها قد سمعت شيئاً لم تسمع به في حياتها كلها.

المعهد العربي النيجيري :

من هذه المدرسة سرنا حتى عدنا إلى الشارع العام الفاخر ثم عدلنا إلى حي شعبي شارع الرئيس مسفلت بحيث يتسع لسيارة واحدة ولكن أسفله محطم لاتكاد السيارة تستطيع السير عليه لأن ظهره مرتفع وماكان عنه يميناً وشمالاً منخفض انخفاضاً شديداً.



مسجد المعهد العربي للتجوير في إبادن

كان أول مارأيناه في هذا المعهد الإسلامي العربي الذي سبقت إلينا شهرته قبل أن تتاح لنا رؤيته هو بناء مسجده الجديد الذي قصد منه مثلما يكون في أمثاله أن يصلي فيه من ينتسبون إلى المعهد ومن يجاورونه فوجدناهم يبنونه بالإسمنت المسلح ولم ينتهوا من بنائه بعد وسطه عال وله أروقة محيطة به من طبقتين وأما الوسط فإنه من طبقة واحدة. ووجدنا عمده مثلما هي في بعض البلدان الإفريقية مستدقة الوسط عريضة الأعلى والأسفل.

وقد وجدنا العمال يعملون في خلط الإسمنت ومعهم امرأتان تعملان فسألناهم عن أجره العامل في اليوم؟ فأجابوا أن الرجل يأخذ عشر نيرات، وأما المرأة فتأخذ نيرة واحدة.

كان الشيخ (الحاجي مرتضى عبدالسلام) على رأس الذين يروننا أقسام المعهد وهم كثير مع أن اليوم الخميس هو يوم عطلة للمدارس والمعاهد الإسلامية إذ هي تعطل الدراسة يومي الخميس والجمعة مثلما تعطل المدارس النصرانية يومي السبت والأحد.

قال الشيخ مرتضى: إن عدد طلاب المعهد ١٧٦٥ طالباً معظمهم من نيجيريا وعندهم ٧ من جمهورية مالي، و٩ من تشاد و٨ من النيجر، و٥ من غانا، و٥ من توقو، و٤ من السنغال، وعدد المدرسين (٢٥) مدرساً وأن من بين أولئك المدرسين اثنين من الأزهريين وواحد من المملكة العربية السعودية هو الشيخ عبدالله خلف (من غامد) وواحد من العراق فالمدرسون العرب فيه أربعة.

والشيخ الحاج مرتضى هو مؤسس هذا المعهد ومديره وهو شخصية محترمة محبوب ممن يتصلون به وكريم الخلق والسير، وهو من الجنود المجهولين في البلاد العربية الذين يعملون في خدمة هذه اللغة

الكريمة ولكنه ليس مجهولاً عند أهل بلدته وعند طلبة العلم في نيجيريا. ويعاونه في عمله الشيخ (عبد الوهاب بابو أحمد) وهو متخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومن الذين حصلوا على شهاداتهم الأولى من هذا المعهد.

وقد أسس المعهد في عام ١٩٥٨ م.

وفي غرفة الإدارة أحضروا عدداً من المقاعد جلس عليها بعض المشايخ من أهل إبادن وبعض مدرسي المعهد.

ونفض الشيخ مرتضى عبدالسلام فألقى كلمة ترحيب قصيرة ثم قال أرجو أن يتم الترحيب بكم بشكل أطول الشيخ علي عبدالسلام وهو مصري من الأزهر فتكلم بكلمة مناسبة أعقبه الشيخ عبدالوهاب بكلمة مكتوبة ذكر فيها مشاريع المعهد وقال :

يسعدنا كثيراً نحن أسرة المعهد العربي النيجيري بإبادن .. أن نرحب بسماحتكم ترحيباً يليق بمقامكم الرفيع الذي يتضاءل بجانبه كل ترحيب فنقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم.

يا أصحاب الفضيلة لقد شرفتم ونورتم المعهد بهذه الزيارة الغالية. ولاشك من أنها ستكون إكليلاً على تاجه على مر الأيام وتجدد السنوات.

يا أصحاب المعالي. يسرني أن أنتهز هذه الفرصة لتقديم أجزل الشكر وأوفر التقدير لحكومة جلالة الملك خالد المعظم لما تقوم به هذه الحكومة الرشيدة من دعم وعون للمؤسسات الإسلامية لنشر اللغة العربية وثقافتها في ربوع نيجيريا وخاصة ما تقدمه من عون مادي وفني لهذا المعهد العربي.

أيها السادة الأفاضل: إن هذه المناسبة فرصة سعيدة لاطلاع سيادتكم على بعض انجازات المعهد ومظاهر نهضته.

كان المعهد غرساً طيباً صادف أرضاً طيبة فأثمر ثمرات طيبة ولله الحمد في فترة وجيزة. فقد خرج المعهد مئات الشباب المسلمين الملمين الماماً جيداً باللغة العربية والدراسات الإسلامية وهم الآن يعملون في نشر ما اكتسبوه من معلومات في كثير من المدارس العربية في مختلف أنحاء نيجيريا.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بخير ذلك البطل الإسلامي والداعية الأكبر وإمام المسلمين جلالة الملك المغفور له الملك فيصل رحمه الله لما له من أثر مشكور في هذه الانجازات منذ أن أصدر أمره السامي بمنح هذا المعهد مساعدة سنوية وقدرها ألف وخمسمائة جنيه، تصرف للمعهد سنوياً عن طريق وزارة المعارف.

يأصحاب المعالي: إن هناك بعض النواقص والصعوبات يعانيتها المعهد وتعترض سبيل تقدمه فلذا كان المعهد في حاجة إلى:

- ١- المدرسين الأكفاء الذين يسدون الفراغات الكبيرة الشاغرة فيه.
- ٢- مساعدة مادية لتكميل النواقص الموجودة في فصوله، وبناء فصول أخرى لضيق الفصول الموجودة على الطلبة.
- ٣- كتب مدرسية لجميع المراحل الموجودة في المعهد من ابتدائية، واعدادية، وثانوية.
- ٤- سيارة لنقل المدرسين إلى المعهد وأماكنهم بعد الدوام الرسمي واستخدامها في نقل الهيئات الارشادية إلى أماكن الدعوة.

كما نأمل من حكومة جلالة الملك خالد المعظم دعم مشروع المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية الذي نجد في إنشائه.
نرجو أن يكون لزيارتكم هذه اثرها الفعال في تقدم هذا المعهد.
نسأل الله تعالى أن يوفقكم لما فيه الخير وسعادة المسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

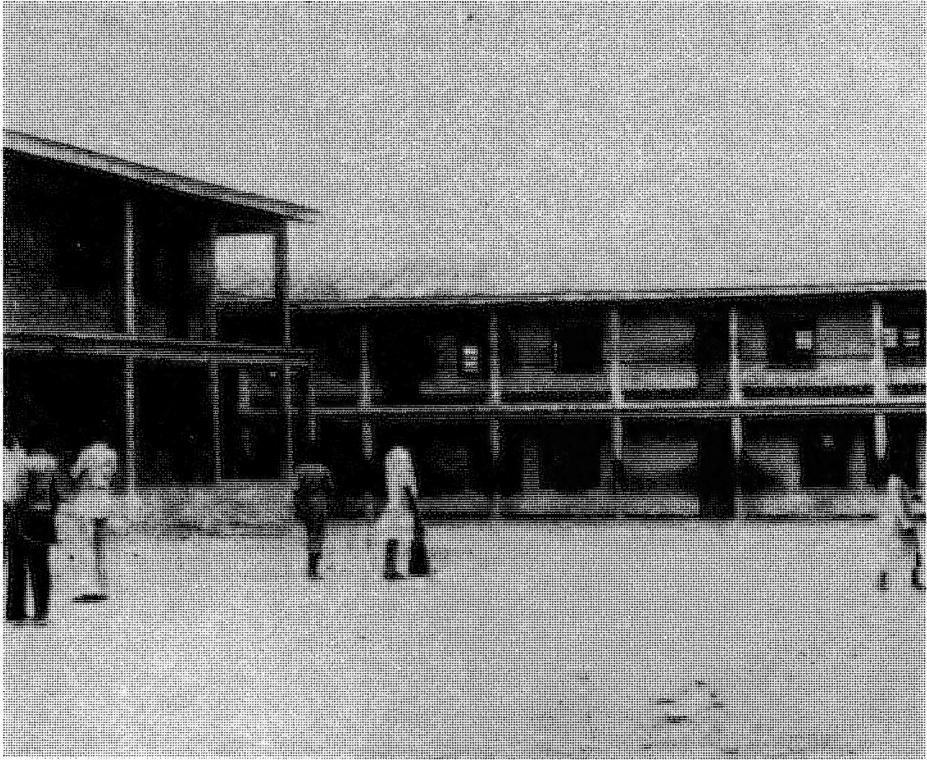
الغرض في إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية :

كان الغرض من إنشائه تعميق الوعي الديني في نفوس المسلمين وتبصيرهم بشئون دينهم وهذا لن يتم بصورة صحيحة ولن يقوم على أسس سليمة ما لم يتم تعلم اللغة العربية التي هي لغة هذا الدين - ولغة القرآن الكريم دستور المسلمين بالإضافة إلى مقاومة جهود المبشرين المدعومة بكل الوسائل المادية والامكانيات الفكرية الهائلة من أوروبا وأمريكا والتي أخذت تشق طريقها إلى صفوف أبناء المسلمين بهدف زرع الشقاق بينهم وإضعاف عقيدتهم وتزهدهم بدينهم وإضعاف ارتباطهم وزعزعة ثقتهم بالعالم العربي النيجيري.

وقد استغل المبشرون الظروف الحياتية الصعبة التي فرضها الاستعمار على المسلمين ليظهروا هذا الدين بمظهر الدين الذي لايساير العصر ولايتكيف مع متطلبات الحضارة والمدنية فالإسلام في نظر المبشرين دين يقود في الضرورة إلى الفقر والتخلف. ويرون المسيحية بأنها ديانة تقود إلى التطور والحصول على نعيم الحياة والمناصب العالية في الدولة والمنح الدراسية في أوروبا وأمريكا.

وقد حقق المبشرون بعض النجاح في هذا الطريق فارتد بعض المسلمين عن دينهم بالاغراءات المادية والمعنوية المعروضة عليهم،

فنسمع مثلاً اسم (جون علي) و (جورج عبدالله) وهذا يدل على أنهم من خلفيات اسلامية ثم تنصروا، ولولا رعاية الله لدينه وحفظه له، وشهامة الدعاة المسلمين وانتشار المدارس العربية في طول البلاد وعرضها ودعم البلاد الاسلامية ومساندتها لهذه المدارس لحققت هذه الإرساليات المسيحية كل أهدافها المرسومة ولتولدت ردةً عنيفة في صفوف المسلمين.



جانب من الفصول الدراسية بالمعهد العربي النيجيري في إبادن

سيدي: وبعدما أخذ المعهد العربي النيجيري على عاتقه التصدي لهذه الحملة المسعورة وقاوم جهود المبشرين وانتشر خريجوه في طول البلاد وعرضها. ونتيجة لهذا الزخم المتواصل والمستمر ولرغبة أبناء المسلمين في مواصلة دراساتهم وتحقيق طموحهم ارتأينا في إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية يلتحق به خريجو المعهد المذكور، ويكون تحقيقاً لما نتوقع لبلادنا هذه هو أن تكون بلاداً إسلامية في القريب العاجل إن شاء الله تعالى ولقارة إفريقيا أن تكون قارة الإسلام.

كما يعقد في مسجد المعهد كل يوم في رمضان حلقة لتفسير القرآن الكريم وشرح الأحكام الفقهية وشرح أحداث العالم الإسلامي ومشاكله ويحضره المسلمون من غير طلبة المعهد. وكذا يُشرح لطلبة المعهد مرة في الأسبوع ما يغرس في نفوسهم روح الإسلام.

وقد عقت على ذلك بكلمة بينت فيها الغرض من مجيئنا، وعمق الصلات الإسلامية الوثيقة بين دور العلم في هذه البلاد، وفي بلادنا، وذلك من واقع وحدة الموضوعات التي تدرس فيها أو تقاربها.

وقبل انتهاء الزيارة قدموا لنا أحد الطلبة يريدون أن تتاح له فرصة اكمال دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقال أن اسمه (محمد دامبو عمر) وأن هذا هو اسمه الإسلامي لأنه أسلم رغماً عن أهله وكان أبوه رئيس الوثنيين في منطقة (جوس) وقد خاصمه والده وطرده من بيته، ولكنه لم يبال بذلك لأن المسلمين احتضنوه ووجد عندهم ما عوضه عن ذلك خصوصاً وأنه كان حسن الإسلام. وقد رأينا تطيباً لخطره أن نلتقط لنا صورة معه. وهي هذه:

كما رأينا أن نحرص على إلحاقه بالجامعة الإسلامية حتى يكمل دراسته رجاء أن ينفع الله به قومه وأهله من الوثنيين فيهديهم بسببه.

عيد الوثنيين :

لأدري لماذا تكررت على أسماعنا كلمة الوثنيين هذا الصباح وليس ذلك من كتاب أوفى حديث عابر ولكنه من واقع حي أولاه مذكرته عن هذا الفتى الذي أسلم رغم معارضة والده كبير الوثنيين والثاني: أننا عندما خرجنا من المعهد العربي النيجيري وكنا نسير في سوق شعبي مزدحم بالسيارات رأينا طائفة من الناس راكبين سيارات من الحافلات الصغيرة على هيئة خاصة وهم يسرون الهوينا حتى أنهم حجزوا بعض السيارات الأخرى خلفهم. وهم ينادون، ولكن بطريقة غير منسقة ويرددون كلمة (أوبو أوبو) وهناك طوائف منهم راجلون أي يركضون على أرجلهم ومعهم العصي وهم يحاولون أن يضرب بعضهم بعضاً ومن جرؤا على ضربه مع الناس وهم جميعاً يقولون منفردين وجماعات (أوبو) (أوبو) وقد زاد جمهورهم بمن انضم إليه من الصبية والجهال من غيرهم حتى كادوا يعطلون المرور لولا أن موكبهم هم من شأنه أن يسير ولا يقف.

وقال الأخ كامل الوسو: إن هذا اليوم هو يوم عيد للوثنيين يسمى (أوكي إبادون) وإنه عيد إنشاء مدينة إبادن عند الوثنيين، وإن عددهم يبلغ ١٠٪ من سكان المدينة.

ولما سألته عن معنى (أوبو) التي يرددونها ظهر الخجل على وجهه وقال: هذه كلمة شتم قبيحة المعنى لا ينبغي أن أذكرها.

فقلت له: أمعنى هذا أنهم يشتمون أنفسهم؟ قال: لا أنهم يشتموننا نحن، وأن أصل الكلمة شتم النساء. وأنه كان فيما مضى لهم احتفال

بهذا العيد أكبر من هذا يكون من أهم ما فيه أن يخرج رجل معين منهم بلباس قبيح ويضع على رأسه جمجمة امرأة ويسير في الشارع فلا تجرؤ امرأة على الخروج من بيتها أو الظهور أمامه في ذلك اليوم لأنهم يعتقدون أنه إذا وقعت أعينهن عليه حصل لهن مكروه.

وإن من أهم ما في ذلك اليوم هو شتم النساء ولعنهن، وضرب بعضهم بعضاً بالعصي.

وسرنا مع شوارع هذا الحي من أحياء مدينة (إبادن) الكبيرة التي لا يظهر كبرها لمن يمر بها مروراً عابراً لأن بعض أحيائها داخل في أماكن منخفضة فلا يرى من البعد. وقد وقف المرور بسبب ضيق الشوارع التي لا بد من وجود ممر للمجاري بمنظرها البشع ورائحتها الكريهة على جانبي الشارع، وبسبب كثرة السيارات.

وفي مفرق من المفارق كانت السيارات قد تشابكت ووقفت لولا أن جندي المرور حلَّ الإشكال ونظم السير. وقال إخواننا: إنه يحدث أحياناً أن يتعاند السائقون فيقف المرور مدة طويلة. ويتعطل ركاب السيارات عن مصالحهم.

وفي هذه الشوارع التي توجد المجاري في جوانبها والتي إذا سارع المرء بلوم الحكومة على تركها هكذا ربما يجد من يرد عليه بأن ذلك يحتاج إلى جهد ومال ووقت طويل فإن المرء يرى أكوام القمامة مجتمعة ومتفرقة مهمة اهمالاً شنيعاً فلا يستطيع أن يجد لهذه الحكومة عذراً في تركها هكذا وهو أمر لا يحتاج إلى عناية، ولا لجهد

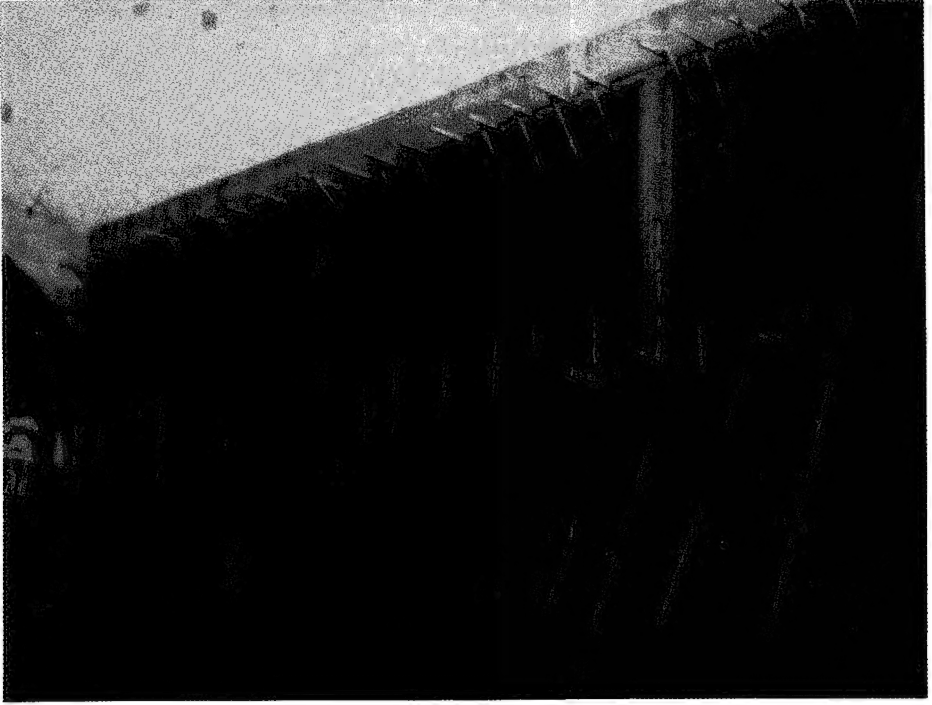
خارق لاسيما مع وجود جيوش من الأيدي العاملة المعطلة من الرجال والنساء.

وقل مثل ذلك عن سوء حالة الشوارع وبخاصة الجانبية منها فهي ليست مسفلتة وهذا قد يكون له سبب من غلاء الأسفلت مع أنه موجود في نيجيريا وهي بلاد تصدر النفط (البترول) للعالم فإنه لا عذر للبلدية لبقاء الأخاديد والحفر والأماكن المرتفعة بجانب الأماكن المنخفضة في الشارع وذلك أمر بيدها أن تستطيع أن تقوم به إذا أرادت ذلك وصدقت في الإرادة.

شمس السعود :

في هذه الأحياء التي لا يتبادر إلى ذهن الزائر الأجنبي فيها إلا ما يراه من وحي المظاهر التي تنطبع في ذهنه بسرعة وأغلبها مظاهر غير بهيجة كما قدمت فإنك تسمع اسماً لا يتفق معها.

من ذلك أنني سألت الإخوان المرافقين عن الجهة التي نقصدها في هذا الحي؟ فسمعتهم يقولون جملة كان أظهر ما فيها (شمس السعود) وفوجئت فالسعود نفسه أمر مفرح والشمس في غير هذه البلاد الاستوائية مفرحة أيضاً. وإذا اجتمعاً فالذي يفترضه الذهن أن يكون الأمر سروراً على سرور.



مسجد جمعية شمس سعود الإسلام في إبادن في نيجيريا (تحت الإنشاء)
وصلنا بعد معاناة من سوء الأزقة وغبار فيها إلى (معهد شمس
سعود الإسلام) وهو تابع لجمعية شمس السعود الإسلامية.

استقبلنا في المعهد مديره ومؤسسه ومع بعض الإخوة الموريتانيين
قالوا: إن الرابطة في مكة المكرمة أرسلتهم من موريتانيا إلى بعض
المدارس العربية في إفريقية الغربية على نفقتها ليدرسوا القرآن الكريم
لأهل تلك المدارس كما وجدنا رجلاً مبعوثاً من الأزهر للتدريس في
المعهد المذكور.

ولم نر في المعهد طلاباً لأن اليوم الخميس هو يوم عطلة لهم غير أن المدير قال: إن عدد الطلبة (٥٢٥) طالباً وأن المدرسين اثنا عشر، وأن البناء يملكه المعهد.

وتركنا شمس السعود وربما يكون القول أدق إذا قلنا أن (شمس السعود) غابت عنا أو غبنا عنها وإذا كان الأمر كذلك فإن مغيبها كان بين بيوت غير بهيجة وأزقة مهملة الشوارع ضيقة أهم مظهر فيها من مظاهر المدنية هو كثرة السيارات التي كان عدد منها جديداً في ذاته.

وخرجنا إلى حي آخر لم أعرف اسمه ولكنه كان - بلا شك - حياً جيداً إذ فيه منازل نظيفة لا أثر للأكواخ فيها.

ومررنا بكنيسة كبيرة ظاهرة وغير بعيد منها مدرسة واسعة قالوا: إنها كانت مدرسة مسيحية ولكنها صارتها الحكومة فأصبح الطلاب المسلمون فيها كثيري العدد وربما يصبحون الأكثرية في المستقبل ولذلك تدرس فيها مواد إسلامية.

وقال الأخ كامل: إن الذي أسس الكنيسة والمدرسة هي امرأة اسكتلندية مبشرة كانت أول من ترجم الإنجيل إلى لغة اليوربا.

المدرسة الخراشية :

عطفنا من شارع عام إلى جهة اليسار فوصلنا إلى شارع ضيق سيء الوضع لنصل إلى المدرسة العربية الثانوية الخراشية (نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد الخراشي الثاني) من أهل هذه المدينة إبادن وقد توفي رحمه الله وخلفه ابنه وكان تأسيسها في عام ١٩٤٥م وقال لي

عدد من الإخوان: إنها تعتبر أول مدرسة إسلامية في إبادن ولا أدري صحة هذا الأمر غير أن أخانا (كامل أوسو) أحد زعماء الطلبة المسلمين والعاملين في الحقل الإسلامي ذكر أنه كان قد تخرج فيها وأن الحكومة تعترف بشهاداتها.

واستقبلنا فيها عميد المدرسة كما أسموه لنا وهو يبدو مضطرباً مرتبكاً عرفنا سر اضطرابه وهو أن الطلبة في الامتحانات وذلك لا يمكننا من زيارتهم في فصولهم. كما أنه قد يسبب ارتباكهم لأنهم يحبون أن يروا هؤلاء الضيوف الأجانب، وبخاصة أنه كان معنا موكب مؤلف من عدة سيارات واسم العميد (عبدالرحيم صلاح الدين) وهو يعرف العربية جيداً.

إن المدرسة تأسست في عام ١٩٤٥م على يد الشيخين المرحومين: خراشي محمد الثاني، والحاج عيسى عثمان (مغاجي) والهدف من إنشائها تنمية المعرفة باللغة العربية والدين وهي إعدادية وثانوية وفيها (٣٥٠) طالباً وسبعة مدرسين.

والنظافة فيها ليست بالغة ... وقد أكد لنا إخواننا العارفون بأمرها ذلك وقالوا: إن الأمر تغير بعد وفاة مؤسسها وقالوا: إنها تعاني الآن نقصاً في الفصول.

وهي تتألف من عدة مبان من دور واحد مبنية بلبن الإسمنت ومسقفة بالزنك وقد كان من بين المدرسين فيها رجل غريب اللون والثوب والقامة أيضاً في هذه البلاد وهو موريتاني أو شنقيطي كما كنا نسمي أمثاله في بلادنا قال: إنه مرسل من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لتدريس القرآن الكريم في هذه المدرسة وإنه هو وعدد من

زملائه من الذين نجحوا في مسابقة القرآن الكريم في موريتانيا
فتعاقدت معهم الرابطة.

ثم دخلنا قاعة في المدرسة اجتمعنا فيها ببعض المدرسين والموظفين
وألقي أحدهم هذه الكلمة في الترحيب بوفدنا :

كل هذه المدرسة ترحب بكم ترحيباً ممتازاً بالغبطة من لقاءكم
ورؤية محياكم الكريمة في هذا اليوم النير. وتقول: أهلاً يا عباد الله
وسهلاً يا جنود الله ومرحباً بكم يا ضيوف المسلمين، فبشرى لنا
بقدومكم إلينا في وقت كنا في غاية الاشتياق إلى حضرتكم فحماً لله
الذي وفقنا لهذا ونرجو أن ترسم لنا زيارتكم هذه معالم السعادة تطمئن
هذه المدرسة بها على نيل المرام نحو المملكة العربية السعودية ماشاء
الله. شَكَرَ الله سعيكم وجعلكم في كنفه عند كل جولاتكم حتى تعودوا
إلى مشعركم بسلام آمنين.

ولا تزال تلقى تحية طيبة تتضمن أسمى وأسمى معاني الثناء
للمملكة العربية السعودية لانتشار أيادها في أقطار العالم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (مدير المدرسة).

مواصلة الجولة :

وعدنا إلى مواصلة السير. ومن لطيف ماشاهدناه سيارة كتب عليها
اسمها (أوكونوا) ومعناه: (سفينة نوح) فأوكو: عربية أو سيارة، ونوا:
هو نوح عليه السلام وقد سماها صاحبها بهذا الاسم وهو من المسلمين
تفاؤلاً بأنها لا تغرق ولا تعطب كسفينة نوح عليه السلام أما عدم

غرقها فربما كان حقيقياً إذا قدرت لها السلامة ولكن المؤكد أنها لم تسلم من الغبار الأحمر الذي ركبها وركب أشياء كثيرة في بعض الأحياء الشعبية ذات الشوارع غير المسفلته بل إنك تشاهد الغبار الأحمر وقد علا بعض سطوح المنازل في هذه الأماكن.

عمل فردي مجيد :

كان التوجه لمشاهدة عمل فردي مجيد في هذه البلاد ألا وهو مدرسة إسلامية حديثة البناء جداً حتى تتفوق في بنائها على المدارس الحكومية والمدارس التي كانت نصرانية.

وقد بناها رجل واحد من ماله هو (الحاجي بيللو علي ادليلاني) وهو تاجر قال: أنه أنفق على هذه المدرسة نفقة كثيرة غير أنه شعر أنه كلما انفق عليها شيئاً أخلفه الله عليه بأكثر حتى أتم البناء الأول من ثلاث طبقات بناء من النوع الحديث الإسمنتي الجيد.

فسأناه عن السبب الذي حمله على التفكير في هذا العمل فقال: قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(١) فهذا هو العمل الأحسن والأصلح.

وتجولنا بصحبته وصحبة الموكب الذي كان معنا في المدرسة فوجدناها بنائين جميلين متقابلين بينهما ساحة واسعة وفيها مسجد صغير جميل البناء نظيف.

ووجدناهم كتبوا لوحات ونصوصاً باللغة العربية علقوها في حوائط المدرسة ليس معها أية لغة أخرى ومن ذلك لوحة تضم حيوات القراء

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

السبعة وقصة المرأة المتكلمة بالقرآن، وكذلك برنامج الدراسة بالعربية قالوا: إن ذلك من إعداد هذا الشيخ وأشاروا إلى رجل موريتاني واضح ذلك من لباسه ولهجته بالعربية وقال الرجل: إنني من موريتانيا وإن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قد تعاقدت معي لكي أقوم بتدريس القراءات وتجويد القرآن في هذه المدرسة، وقال: إنني أسكن في المدرسة نفسها .. ماذا أعمل؟ إن الغلاء هنا فاحش، وإن الراتب الذي تعطيني إياه الرابطة ليس كافياً.. وقال: اسمي محمد جابر.

وقال (الحاجي بيللو علي دليلائي) إنني أدفع رواتب المدرسين وإنني أسكن بعض الطلبة الغرباء في المدرسة وأطعمهم. وقال: إن عدد الطلبة (٢٥٠) والمدرسين (١١). وقال: كل ذلك من الله.

واسم هذا الحي (أولومسوقو)

الأزهر والمنح الدراسية :

استأنفنا السير في أحياء إبادن وكان معنا في السيارة هذه المرة أحد الأزهريين المبتعثين للتدريس في هذه البلاد. فكان مما قاله لنا: إنه ينبغي على السعودية أن تكثر من المنح لأبناء المسلمين في هذه البلاد. فقلت له: إن هذا صحيح بل واجب. ولكن ألا ترى أن ذلك لا يعفي الجهات الإسلامية القادرة في البلاد العربية والإسلامية. وعلى رأسها الأزهر الذي كان له فضل السبق في هذا الميدان وأنه ما يزال عليه أن يواصل هذا الفضل الذي سبق بقية العرب إليه وهو توفير المنح الدراسية لأبناء المسلمين.

فقال: إن ذلك يتم الآن على نطاق ضيق جداً. وليته لا يتم فخير للمسلمين في هذه البلاد وللأزهر ألا يخصص الآن أي منح؟

فسألته مستنكراً عن إيضاح ذلك فقال: إن الطلبة الذين يذهبون إلى هناك يعانون مشكلات كثيرة منها المشكلات المالية فالأزهر يعطيهم المسكن والطعام وثمانية جنيهات مصرية في الشهر ولكن الطعام في بعض الأحيان لا يناسبهم، والجنيهات الثمانية ليست مصرفاً كافياً مع الغلاء الذي استشرى في مصر. ثم أضاف: إنه ينبغي أن يذهب طلاب المنح إلى البلاد التي توفر لهم حياة مناسبة خلال الدراسة مثل السعودية. ثم حدثني عن وقائع جرت عليه في كونه رشح طالباً لقوا من المشكلات والصعوبات الإدارية ابتداء من التأشيرة في السفارة المصرية إلى أن دخلوا الأزهر.

وقد أبدت أسفي لذلك، ولم أوافق على كون الأزهر لا يقبل طلاب المنح الآن، ولم يكن الحديث يسمح بأكثر من ذلك لأننا كنا قد توقفنا ثم ركبنا ثم افترق عنا في سيارة أخرى من السيارات التي معنا إلا أنه كان - جزاء الله خيراً - ملازماً لنا طول هذه الفترة من هذا اليوم من قبل الظهر إلى أن افترقنا عنه في الساعة الخامسة إلا ربعاً عصراً وكان ينتقد إخواننا المسلمين الأفارقة ويصفهم بقلة الفهم حتى من كان يعرف العربية منهم، وكان مما قاله لنا وهو يصف هذه البلاد: إن الإسلام ضعيف في إفريقية وإنه ضعيف في كل هذه الأقطار وقال ما يعني أن أهله وإن كانوا مسلمين فإنهم لا يفهمون الإسلام ولا يعملون به. ولم أرد عليه بسبب وجود أحد الإخوة من المسلمين الأفارقة لم أشأ

أن يسمع خصامنا أو اختلافنا معه في هذه النقطة لأن إسلامهم أقوى من إسلام كثير من الناس حتى في البلدان العربية الذين ورثوا الإسلام وراثته، وتهيات لهم سبل الأخذ به.

ولولا ذلك لذكرته أن إسلام بعض الناس في بلاد الاكثريات المسلمة هو الضعيف لا إسلام هؤلاء الإخوة الافريقيين المجاهدين.

إلى حي ماناتا :

ومعنى (ماناتا) لا تتمدد فكأنه يقول (مد لحافك على قدر رجلك) إلا أنه والحق يقال متسع لم تشمله العمارة لأنه في ضاحية جديدة أكثرها معشب ذو أشجار متفرقة وحشية أي غير مغروسة وكان سيرنا إليه مخترقين بيوتاً جميلة نظيفة من الخارج على هيئة دارات (فيلات) إذا رأيتها خيل إليك أنك في بعض البلدان العربية الغنية غير أن السيارة ماتلبث أن تعيدك إلى رشذك إذ تصل بك إلى بيوت إفريقية أصيلة هي بالأكواخ أشبه بالبيوت المعتادة ذلك بأنها من طابق واحد من لبن الإسمنت ومسقفة بالزنك على الطراز الإفريقي التقليدي في البلاد الإفريقية وهي الطراز المحسن الذي لا يكون فيه السقف هرمياً مبنياً من القش، وإنما هو على هيئة سنام.

وفي بعض الباحات وعلى حواشي بعض الشوارع تشاهد ماتشاهده في بعض البلدان المتخلفة القادرة على الاستيراد من وجود حطام كثير من السيارات التي حمل غلاء إصلاحها وقدرة أهلها على شراء غيرها على تركها، وحمل اهمال المسؤولين في البلديات على تركها في مكانها.

وكان القصد من رؤية هذا المكان (ماناتا) هو زيارة مدرسة إسلامية لم تتم بناء قام على بنائها الشيخ عبدالكريم الرفاعي وأسماها على اسم مدرسة له تعمل الآن اسمها (مدرسة التعليم العربي الإسلامي) يريد أن ينقلها إلى هذا المكان لكون الأول ضيقاً غير مناسب وقال إخواننا: إنه أنفق عليها مبالغ كبيرة.

والحق أن الأمر فيما يبدو لنا كذلك فبنائوها من الإسمنت المسلح الجيد، ولكنه لم يكتمل بعد وشاهدنا العمال يعملون في البناء وشاهدنا هنا ماشاهدناه عدة مرات في هذه البلاد من خضوع العامة لكبرائهم وتعظيمهم إياهم تعظيماً مفرطاً إذ رأينا العمال قد ركعوا ثم جلسوا على رجل واحدة على الأرض تعظيماً وإجلالاً. وهكذا تفعل عامتهم مع شيوخهم وكبرائهم.

والمؤسف في الأمر أن المشايخ لا ينهاونهم عن هذا التعظيم الذي لا يجوز، بل إنهم يقرونهم على ذلك. وربما كان هذا لأنهم أي المشايخ يخضعون لمن هم أكبر منزلة وأعلى مقاماً من العلماء مثل ماتخضع العامة لهم فيركع الواحد منهم منحنياً. وإن كان لا يقصد الركوع بذلك أو لا يعتبره ركوعاً وإنما يعتبره تعظيماً فذلك لا يغير من الأمر شيئاً.

وهذا الانحناء - كما قلت - يبلغ إلى حد الجلوس على الأرض على رجل واحدة أمام الشيخ الواقف. ولو كان العلماء ينهاون العامة عنه لكانوا قدوة. وأذكر بهذه المناسبة مسألة صغيرة وهي أن أحد المتعلمين في مصر من إخواننا الأفارقة كان يخاطبني بقوله: يامولانا، كما كان الأزهريون يخاطبون بعض من يظهرون احترامهم. فنهيته عن ذلك وقلت له: يا أخي إنه يقال في الأثر: (أكرم أخاك بما يحب) وأنا لأحب أن تقول لي هذه الكلمة (مولانا) فقال لي: إذا أقول لك؟

قلت: قل يا أخي أو قل: يا محمد.

قال: وإذا قلت يا شيخ محمد؟ قلت: لا مانع.

فلم اسمعه بعد ذلك يدعوني بكلمة (مولانا).

وقال الأخ الشيخ عبدالكريم صاحب المدرسة: إنني ابني سكناً للمدرسين وأرانا أساس البناء وكذلك أساس المسجد.

الغداء في كوكو دوم :

قالوا لنا: إن الشيخ مرتضى عبدالسلام سيغدينا مع مرافقينا في (كوكو دوم) فإلى (كوكو دوم) وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة ظهراً، وكان اهتمامي بمعرفة هذا (الكوكو دوم) أهم من اهتمامي بالغداء الذي فات مواعده فسألتهم عنه؟ فقالوا: إنه مطعم لبناني فقلت: من أية لغة هذا الاسم وما هو معناه؟

فأجابوا إنه من الانكليزية، ويعني (قبة الكاكاو) وقد أتت تسميته من بناء شاهق مجاور له في هذه المنطقة من وسط مدينة (إبادن الحديث) اسمه (كوكو هاوس) أي: بيت الكاكاو وهو بناء عال بل معلم من المعالم الحديثة في وسط المدينة يبلغ ارتفاعه ٢٢ طابقاً ويرى من جهات متعددة من المدينة. ويقع في منطقة من المدينة تسمى (دبي).

فجعل اللبناني مطعمه في قبة مرتفعة وأسماه (قبة الكاكاو).

كان هذا الكلام والسيارة تسير في شوارع إبادن التي لاتنتهي من السير في شارع منها حتى يسلمك إلى شارع طويل آخر.

والمناظر في هذه الشوارع ليست على نسق، بل هي متفاوتة تفاوت
مستوى المعيشة في هذه البلاد التي يوجد فيها ثراء فاحش، وفقير مدقع
عند طوائف أخرى كثيرة العدد.

فمررنا ببيوت جيدة، ذات طبقات محدودة، وبمنطقة ذات عمارات
عالية، إلا أن الذي يكاد يجمع بين هذه البيوت في صفة واحدة هو
اهمال البلدية، وعدم عنايتها بنظافة البلدة. وبصحة الناس.

وأكبر شاهد على ذلك في شيئين ظاهرين يراهما كل شخص دون
بذل أي جهد في التفكير أولهما المجاري المتعفنة المتغيرة اللون في
جوانب الشوارع، والثاني أكوام القمامة المتروكة في جوانب بعض
الشوارع المتسعة أو في بعض الميادين حتى الصغيرة منها، بعضها قد
أحرقه الأهالي يكافحون بذلك تضخمه ومنتنه، وبعضها متروك على
حالته.

وهناك شيء مشترك تقريباً في أكثر الأحياء هنا ألا وهو وجود
الأسواق الشعبية التي يبيع أربابها بضائع صغيرة وقد اتخذوا من
جوانب الشوارع كما هو الأغلب أو من الميادين والأسواق المعدة لذلك
حوانيت ليس لها أبواب، بل ليست هي الحوانيت بالمعنى المفهوم.

وللإفريقيين في كل إفريقية تقريباً وليس في نيجيريا وحدها غرام
بهذه الطريقة المبسطة من طرق عرض البضائع، فهم ليسوا من هواة
الشراء من الحوانيت الكبيرة.

وفي شارع هو في الوقت نفسه سوق عظيم ممتد من هذه الأسواق
كثرت السيارات ووقف المرور، وتعطل السير، فتحيرت سيارتنا في

هذه الساعة الشديدة الرطوبة مع حرارة معتدلة من النهار ورائحة
الوقود من السيارات الواقفة المزدحمة إلى جانب ما كنا نحس به من
تعب من التجول في الشمس، فزاد ذلك من عدم الراحة.

وتحرك المرور بعد فترة فعرفنا أن سبب تأخره هو تعطل سيارة في
طريقنا طريق الذهاب من الشارع ولكن الصف الطويل من السيارات
الآبية أي المقابلة لم تترك أية فرصة لسير السيارات من جهتها.

حتى وصلنا ساحة قريبة من المطعم مليئة بالحافلات الصغيرة التي
لونوها بلون أصفر وأحمر مثل لون سيارات الأجرة لأنها حافلات
للأجرة أيضاً.

وبعد ذلك دخلنا المطعم اللبناني فإذا هو مكيف تكييفاً جيداً. وكل
ما فيه نظيف إلا أننا عندما ذهبنا لنغسل أيدينا من الحمام لم نجد فيه
ماء وتبرع العامل الإفريقي وجميع العمال فيه من الإفريقيين بأن
أحضر ماءً قليلاً في إناء وقال: اغسلوا أيديكم. وغسل بعض المرافقين
أيديهم في وسطه واحداً بعد الآخر ولم أفعل ذلك وقلت في نفسي
(يابس أظهر).

وكان الطعام لبنانياً جيداً أهم ما فيه الشواء العربي والخبز اللبناني
الذي لا يوجد نظيره ولا ما يقرب منه في الجودة في فنادق الدرجة
الأولى.

وأما السعر فإنه لا علم لي به، ولكنني أظنه غالياً. وكان عدد
الآكلين حوالي العشرة.

يوم الجمعة : ٢١/٥/١٤٠١هـ - ٢٧/٣/١٩٨١م.

كان أول هذا الصباح للزيارات حيث زارنا الأخ عيسى ياقويادا وهو أحد التجار الأثرياء النيجيريين الذين يكثرون التبرع بأموالهم للمشروعات الإسلامية.

وكان بصحبة الأخ (كامل أوسو) كما كان معهما الأخت (رشدة سولاجا الاقاقو) نائبة رئيس منظمة الطلبة المسلمين في جامعة إبادان وكان والدها رئيس اتحاد الطلبة وقال الأخ كامل: إن الأخت رشدة قد أتمت دراستها وهي الآن تعمل في خدمة الوطن وهي ضريبة جعلتها الحكومة النيجيرية على الطلاب الجامعيين الذين يتمون دراستهم وعليهم أن يخدموا لمدة سنة في أي ميدان للخدمة دون مقابل إلا الإعاشة.

وكانت الجلسة مفيدة جرى البحث فيها حول الأوضاع الإسلامية الحاضرة في هذه البلاد وبخاصة في منطقة قبيلة (اليوربا) إلا أن الأخ الحاج عيسى حمل بشدة على بعض العرب الذين يذهبون إلى لندن ويفعلون أفعالا تسيئ إلى سمعة المسلمين وينفقون أموالا طائلة في غير سبيل الله، وهم بذلك يعطون أمثلة سيئة تصد ضعيفي البصيرة عن اعتناق الإسلام لأنه قد يرى الإسلام من خلال أفعالهم وكان يتحمس لذلك، ويشدد عليه، وكأنه بذلك يعتقد أنني وأمثالي من الذين يملكون أن يقفوا مثل هذه الأمور إذا شاؤوا.

جولة في جامعة إبادان ،

كانت هذه الجولة مع الأخ علوي علي آدم وهو مدرس في قسم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة ومن الساكنين فيها. ومن

أولى منه بأن يرينا أقسام هذه الجامعة ويطوف بنا بسيارته أرجاءها الواسعة.

وكان أول شيء بدأ به هو (قسم الدراسات العربية والإسلامية) وقال الأخ علوي بعد أن أرانا مكتبه في القسم ومكاتب بعض زملائه الذين يعرفون العربية لأنهم متخرجون من البلاد العربية ومنهم واحد من جامعة المدينة المنورة. وآخر من الأزهر: إن جميع الطلبة في هذا القسم مسلمون وأن بعض الحاضرين مسلمون ولكن السكرتير مسيحي وقال: إن المملكة العربية السعودية تدعم هذا القسم سنوياً بمبلغ عشرين ألف ريال.

ولكن القسم والحق يقال ضعيف المظهر، مكتبته ليست بالتي تنبغي أن تكون عليه مكتبة قسم يبحث في موضوع هام كهذا في جامعة مشهورة كجامعة إبادن.

أما التحرير والإدارة فإنها في غرفة كبيرة هي في الوقت نفسه خزانة كتب (مكتبة) فيها موظفتان وموظف.

وأما السكرتير وهو فعال في القسم فاسمه (اكيب وادي) وهو مسيحي كما قدمت ولكنه خاطبنا بالعربية ويعرفها معرفة جيدة جداً، وقد عرفت سبب معرفته اللغة وذلك أنه كان قد أتم دورة في دراسة اللغة العربية استمرت مدة سنة في جامعة الرياض وانتهت قبل أشهر.

قال: إنني لم أجد أية صعوبة في العيش في الرياض، وأنني أذهب إلى الأسواق الشعبية مثل (البطحاء) بنفسني دون أن ألاقى أي صعوبة.

ومن لطيف ما رأينا في القسم مجموعة جديدة من الأباريق المصنوعة من اللدائن كان قد اشتراها أحدهم لأجل أن تستعمل في الوضوء وجعلها هنا لتوضع في مسجد الجامعة وقد رسم عليها ما يدل على ذلك وأنها صنعت لكي تكون للوضوء في الجامع خاصة.

أما الجامعة فإن عدد سكانها من طلاب ومدرسين ومن أفراد أسر العاملين والموظفين والمدرسين هو (٣٥) ألف نسمة. لأن موظفيها ومدرسيها وطلابها كلهم قد هيئت لهم فيها مساكن.

وأما مساحتها فإنها أزيد قليلاً من خمسة أميال مربعة.

ورئيس الجامعة مسيحي، ولكن نائبه مسلم. ورئيس الشرف للجامعة مسلم أيضاً ومعظم الأساتذة والمحاضرين من المسيحيين. وكذلك أغلبية الطلبة من المسيحيين غير أن عدد المسلمين يتزايد باضطراد نظراً لسهولة حصول المسلمين على الشهادة الثانوية في الوقت الحاضر أكثر مما كان عليه الحال في الماضي وذلك بعد أن أمتت الدولة المدارس الخاصة بالهيئات وأخضعتها لإشرافها وفتحت أبوابها للناس من جميع الأديان.

ومررنا مروراً سريعاً على مباني الجامعة ومنها مجلس الجامعة الذي له أثر كبير عليها منذ تأسيسها في عام ١٩٤٨ م.

وبيوت متفرقة للأساتذة والمدرسين وهي عندهم على درجات مثلما أن الأساتذة والمدرسين هم أنفسهم في الجامعة على درجات.

ثم مساكن للطلبة على هيئة وحدات سكنية وأخرى مثلها منفصلة عنها للطالبات ثم سكن طلاب الدراسات العليا. ومساكن الموظفين من غير المدرسين.

ومررنا على سد على وادٍ يخترق أرض الجامعة غير أنهم بنوا هذا السد الذي حجز طائفة من مياه اتخذه بمثابة مياه احتياطية في حالة ما إذا توقفت المياه العامة التي تأتي إلى الجامعة لأي سبب من الأسباب فيلجئون إليه، وتكفي مياهه لإمداد الجامعة بالماء.

وقد رأيت السد قد حجز بالفعل مياهاً كثيرة من مياه النهر ولكنه لم يوقف تدفق مياه النهر مع مجراه الطبيعي القديم.

ومررنا ببناء على حائط قد ضم أراضي كبيرة واسعة من الحدائق والأشجار قال الأخ الشيخ علوي: إن هذا هو مسكن مدير الجامعة وهو ذو مكانة كبيرة وسلطة نافذة فيها.

والحقيقة أن منزله هو بالقصر أشبه منه بالمنزل المعتاد.

وقال الأخ علوي: إن ذلك وأشار إلى بيت أقل من بيت المدير هو لنائب الرئيس وهو مسلم وكان غائباً عن إبادن الآن، وإلا لكنا سلمنا عليه.

وختمنا هذه الجولة بالمرور على منزل أستاذ عراقي يدرس فيها اسمه (حازم) كان ملازماً لنا من أول قدومنا إلى إبادن جزاه الله خيراً. وكانت جولة شفت النفس من هذه الجامعة التي كنت قد سمعت مبالغات كثيرة عن كبرها واتساعها من قبل.

جمعة إبادن :

قد يتساءل القارئ الكريم عن السبب في التثويه بجمعة مدينة (إبادن) على حين أن الجمع في كل البلاد وأنها تتكرر في كل أسبوع.

وأقول: إن السبب في ذلك هو غرابة أداء الجمعة المذكورة في ذهني
وغرابة ما أحاط بها وأن يكن ذلك مألوفاً لغيري.

كان الذهاب إلى صلاة الجمعة مع الأخ الشيخ علوي علي آدم
بسيارته التي يسوقها بنفسه. وقال لي وهو يمضي إلى المسجد إننا
سنضطر إلى الوقوف بعيداً عن موقع الجامع لأنه لا توجد مواقف
ميسرة حوله ولو وجدت فإن كثرة المنصرفين من الجامع يجعل الزحام
شديداً يتعذر معه سير السيارة. وأوقف السيارة في مكان مرتفع هو
تلة أرضية فيها قاعة عالية تسمى قاعة البلدية ذات ٥ مداخل رومانية
فخمة وكنت ظننتها المسجد الجامع في أول الأمر وهي مع بناء (كوكو
هاوس) الذي تقدم ذكره من أهم معالم وسط المدينة في إبادن.

وانحدرنا راجلين من هذه التلة مع أزقة غير منتظمة تفوح منها
روائح المياه المستعملة. ومع ذلك كنا نرى من هذا المكان بيت أمير
إبادن يبني بالإسمنت المسلح بناءً قوياً، ويقولون: إن الأهالي هم الذين
يدفعون نفقات بنائه وإنهم يعظمون شأن الأمير هذا وفي هذه الأزقة
غير النظيفة مظهراً ورائحة يوجد سوق شعبية، وأناس كثيرون
يتوضئون للصلاة في الشارع من أكواب فيها الماء ولا أدري أهم
يحصلون عليها بالشراء أم ذلك بطريق التبرع والاحتساب ممن
يحضر ذلك الماء.

وبين المتوضئين توجد مطابخ شعبية كل العاملين فيها من النساء
وهن يبعن الطعام على الناس. وكأنما كان الاجتماع لصلاة الجمعة
مناسبة أو موسماً لهن.

ومن لطيف ما رأيته في هذا الشارع أو على الأدق في هذه الأزقة المتعرجة فتاة واقفة في الشمس تبيع قطعاً من الورق على المصلين الذي تبين أن المسجد المفروش لا يتسع إلا لعدد قليل منهم لذلك تصلي طائفة كبيرة من الناس على الأرض ويحتاجون إلى فراش رخيص مؤقت فيشترون هذا الورق إذا لم يكونوا قد احضروا معهم فراشاً من قبل.

كما أن من غرائب المعروضات التي رأيته في هذا السوق حصالة من النقود من الطين المطبوخ أو على الأدق من الفخار عند امرأة جالسة بجانب الشارع تبيع أواني فخارية غير متقنة الصنع تعاونها في البيع بنية لها صغيرة. والأواني تشمل أنواعاً منها هذه الحصالة التي يجعلوها تفتح فتحاً وربما كانت تكسر إذا امتلأت لأنها ليست ثمينة القيمة.

ومن الأشياء غير المحببة هنا وإن كانت موجودة في أماكن عدة من العالم وبخاصة حول المساجد الجامعة منظر طوائف من السائلين المستجدين (الشحاذين) من رجال ونساء وبعضهم في مظهر غير زري مما يدل على أن حالتهم المادية حسنة وأنهم يتخذون السؤال والاستجداء حرفة.

ثم نفدنا من هذا الزقاق إلى شارع واسع مستقيم نوعاً ما. وجدنا على جوانبه (بسطات) من البضائع أكثرها لمناسبة صلاة الجمعة ومرور المسلمين إلى الجامع لأنها تتعلق هنا بأمور دينية مثل بائعي

السبح - جمع: سبحة - وبائعى المصاحف الكريمة والكتب الدينية العربية والأوراد والصلوات باللغة العربية. وطواقي - جمع طاقية - وعطور. وقد اشتد زحام الناس في الشارع وكثر الشحاذون.

تشهد لأنها ولدت توأماً :

رأيت أكثر من امرأة تحمل طفلاً على يدها وهي في حالة جيدة من حيث مظهر بدنها وثيابها فعجبت من كونها تسأل الناس وتستجديهم وهي في مثل هذه الحالة من المظهر الجيد.

فأخبروني أن السبب في ذلك أنها تكون قد ولدت توأماً. وأن العرف عندهم يجيز لمن تلد توأماً أن تقف وتسأل الناس ولا يكون ذلك معيباً منها.

وهم يعرفون مثل تلك المرأة بعلامات معينة ويمنحونها بعض النقود الصغيرة لهذا الغرض.

ثم قربنا ونحن نسير على أقدامنا من المسجد. وقد تكاثف زحام الناس حتى صار شديداً وزادت أيضاً معه أفواج الشحاذين الذين كانوا قد افترشوا الأرض ووضعوا نقوداً معدنية أمامهم علامة على الاستجداء إذا لم تكن المناداة بذلك كافية.

في انتظار موكب الإمام :

والمراد بالإمام هنا هو إمام المسجد الجامع الذي يؤم الناس في صلاة الجمعة. ويكون له موكب مهيب عندما يسير في طريقه إلى إمامة الناس وليس ذلك في الطريق وحده وإنما في داخل المسجد أيضاً.

وكنا رغم أننا حضرنا إلى المسجد مبكرين لأن الأخ الشيخ علوي أخبرني أننا لانستطيع أن نجد لنا مكاناً في المسجد إذا لم نبكر ورغم كوني ارتدي الملابس العربية مما يجعل الإخوة النيجيريين يؤثرونني بمكان فإننا وجدنا المسجد كله على سعته مملوئاً بالناس حتى لا يجد المرء فيه موضعاً يجلس فيه ولا بين الصفوف.

وقد أبصرنا ونحن متحIRON بعض الذين يعرفوننا فقال: الأفضل أن تنتظروا موكب الإمام فتسيروا فيه حتى يمكنكم أن تجدوا طريقاً للتقدم إلى مقدمة المسجد.

وجلسنا ننتظر مع المنتظرين قدوم الامام ونحن جالسون على درج يصعد منه إلى داخل المسجد المسقوف إذ لم نجد مكاناً في غيره.

وكان من بين المنتظرين شخص مسئول عن مرور موكب الإمام وآخرون.

وكان كل من في المسجد أثناء ذلك صامتين إلا شخص واحد يتكلم من مكبر للصوت يقرأ أحياناً، ويفسر نصوصاً دينية أحياناً أخرى ولكننا لانفهم مما يقوله شيئاً لشدة الزحام ولأنه يخرج بعض الحروف من مخارج لم تألفها آذاننا.

وكنت أتأمل هذه الجموع المتراسة الموجودة في المسجد، والساحة المكشوفة التي بدأ الناس بالجلوس للصلاة فيها حتى إن بيتاً كبيراً من البيوت المجاورة وهو سكن خاص أخذت طائفة من الناس تصلي فيه نراهم في الطابقين الأعلى والأسفل فيه. وأخبرنا إخواننا أن صاحب هذا البيت يترك الناس يصلون في بيته يوم الجمعة احتساباً للأجر، ولكنه لايسمح إلا لعدد محدود.

وحاولت أن أعرف مقدار جميع الذين يتسع لهم المسجد فلم استطع لأن جمعهم لم يكتمل بعد وسألت الشيخ علوي علي آدم وبعض الإخوة الموجودين فقالوا: إنهم في حدود عشرين ألف مصل.

ولكن ربما كانوا لم يلاحظوا الذين يصلون في الشارع خارج الجامع وساحته.

وبينما كنا ننتظر ذلك رأيت أحد الأشخاص يقرأ مدائح نبوية قالوا إنه يفعل ذلك استدراكاً لعطف الناس حتى يعطوه شيئاً.

وتأملت الثياب التي حضر بها أكثر القوم إلى المسجد وإذا بها الثياب اليورباوية التقليدية التي هي واسعة ولكنها أقل سعة من ثياب السنغاليين، لأنها قميص واسع أطول من القميص الأفرنجي قليلاً، وأقصر كثيراً من القميص العربي وفي طول القميص الباكستاني تقريباً وتحتة سروال مثله في اللون والقماش، ويكونان في الغالب من قماش ملون. وأثوابهم كلهم نظيفة وأبدانهم كذلك ويبدو أن أكثرهم بالفعل يأخذ زينته عند الذهاب لصلاة الجمعة هذا وقد أخذ المكبر يذيع بلغة اليوربا أحاديث فهمت من فحواها أنها موعظة وتذكير، ولكنها بلفظ دقيق وصوت مرتفع.

واستمر انتظارنا لحضور الإمام والناس يدخلون، والنساء يدخلن أيضاً إلى مكان مخصص لهن في المسجد. وكلهن بلباس ساتر وقد سترن رؤسهن بالذات بمناديل رقيقة بيضاء كأنها (الغترة) فوق رؤس الرجال العرب، وأما الحجاب فإنه لاوجود له.

السيارات بين المصلين :

لاحظت وجود عدد من السيارات واقفة في الفناء الخارجي المكشوف التابع للمسجد وهي واقفة وقوفاً غير منتظم، والناس الذين جاؤا أخيراً بدأوا يجلسون حولها للصلاة، وعرفت أنها لبعض المصلين الذين يأتون مبكرين قبل أن يكون في هذا الفناء الخارجي أحد من المصلين فيوقفون سياراتهم وقال لي أحد الذين كانوا بجانبهم انهم يفعلون ذلك لأن هذا المكان آمن بالنسبة للسيارات.

ولكنني عندما أثرت هذا الموضوع مع الشيخ الحاج مرتضى عبدالسلام بعد الصلاة قال: ياليتكم تكلمتم معهم في هذا الأمر لعلمهم يسمعون لكم إنهم بهذا يضيقون على المصلين. فقلت: هذا صحيح، ولو عرفت هذا لنبهتهم عليه.

موكب الإمام :

كان أول علامات وصول موكب الإمام هو التحفز والتهيؤ من الجميع إذ هو يدخل من آخر المسجد مع الفناء الخارجي فيخترق صفوف المصلين حتى المحراب.

وعلاوة أخرى وهو أن أحد الموجودين في موكبه كان يقرأ أبياتاً من البردة يرفع بها صوته. وعلاوة أهم من ذلك وهي أنك ترى طوائف من الناس الذين يمر بهم الموكب مباشرة يخضعون له بأن ينحنوا إلى الأرض ثم يجلسوا على رجل واحدة علامة الاحترام.

وأما المرافقون فإنهم عدد كبير وقد انضمنا إلى الموكب وكانت هذه طريقة ممتازة للوصول إلى مقدمة المسجد.

وقال لي أحدهم وهو يشير إلى الموكب إن هذا الإمام وأنا لم أستطع رؤيته من كثرة المحيطين به ولأن موكبه لا ينظر من فيه إلى الآخرين: إن الإمام يزيد عمره على المائة سنة.

ولم أبه لهذا الأمر فذلك ليس بهمهم، إنما المهم أن نشهد كل هذا الموكب العجيب الذي نحن في الحقيقة نمشي في أذياله رغم الاحتفاء الكبير بنا، ولكن محافظتهم على التقاليد المرعية تجعلهم لا ينظرون إلا إلى أن يكون الموكب تقليدياً صِرفاً.

وفي داخل المسجد المسقوف المزدهم لم يكن الموكب يمر على الناس إلا خضع الذين يلونه مباشرة وانحنوا إلى الأرض حتى قرب الجلوس.

وصل موكب الإمام إلى دكة مرتفعة متصلة بالمحراب في مقدمة المسجد فجلس فيه وشخص واحد ممن كانوا معه مستقبليين الناس. وأما أنا والشيخ علوي عليّ آدم فقد أجلسونا في الصف الأول بعد أن طلبوا من الذين كانوا جالسين فيه أن يتفسحوا لي.

ولما أتممت الركعتين تحية المسجد أشاروا إليّ أن أسلم على الإمام، وكان لا يزال في المحراب الذي كان مرتفعاً عن المسجد قليلاً حتى كأن أرضه دكة مرتفعة كما قدمت. فسلمت عليه وهو رجل مسن لم يبالغ الذين قالوا لي: أن عمره يبلغ مائة سنة. ولكنه قوي الجسم بالنسبة إلى هذه السن. وكان سليم الحواس ماعداً ضعفاً قليلاً في سمعه وقدمني إليه الشيخ مرتضى عبدالسلام مدير المعهد العربي النيجيري فهش وبش ورحب ترحيباً زائداً.

وقال لي الشيخ مرتضى وطائفة من الموجودين إننا نريدك أن تلقي كلمة في المصلين بعد الصلاة فجمعهم كما ترى كثير. فقلت: هذا مناسب إن شاء الله. ولكن لابد من اختيار المترجم، فقال الشيخ مرتضى سوف أتولى ذلك بنفسى.

والمراد بذلك الترجمة إلى لغة اليوربا التي هي لغة الحاضرين في المسجد ولغة أهل هذه المدينة بل أهل هذه المنطقة من غرب نيجيريا وباقي الأجناس أو القبائل الإفريقية الموجودين فيها هم من الطارئ كالهوسا ولهم مساجد جامعة بنوها بأنفسهم ويصلون فيها.

وبعض الهوساويين تبلغ بهم عدم ثقتهم بدين اليورباويين إلى درجة أنهم لا يصلون وراءهم، يزعمون أن دينهم الإسلامي لا يزال مختلطاً في أذهانهم ببعض العادات القديمة التي كانت لهم قبل الإسلام.

المخاطبة غير الباشرة، أو رفع الصوت من أمام الحجرات.

كل هذا السلام. وذلك الكلام كان يتم بصوت مرتفع في المحراب لأنه كانت هناك موعظة للناس باللغة المحلية لغة اليوربا ويعتبرونها ضرورية لأنها هي اللغة التي يفهمونها ولكنها كانت تتم بطريقة عجيبة.

كان هناك شيخ مسنٌ عرفت فيما بعد أنه المفتي مفتي منطقة إبادن وكان مثل الإمام شيخاً هرمًا لا أظن أن عمره ينقص عن التسعين.

وكان هو الذي يلقي الموعظة لكنه لا يلقيها إلى المستمعين الذين اكتظ بهم المسجد على سعته مباشرة. وإنما كان يقول الجملة بصوت مرتفع. فيردها شخص آخر بصوت مرتفع أمام مكبر للصوت قد

أمسكه بيده، لايزيد على ذلك جملة واحدة، وكثير من المستمعين الموجودين في مقدمة الصفوف يسمعون الإمام مباشرة، ولا حاجة بهم إلى هذا الرجل يعيد كل جملة يقولها الإمام فهو كالمُبلِّغ عندنا خلف الإمام إذا قال: الله أكبر، قال الله أكبر، إلا أن الفارق أن الموعظة كلها على طولها تنقل إلى الناس بهذه الطريقة يقول الشيخ الجملة وليس مع الشيخ مكبر للصوت وإنما هو واقف بجانب الرجل الذي معه المكبر غير أن الشيخ يتكلم بصوت مرتفع إلا أن طبقة صوته رقيقة.

وكان الواعظ الذي هو المفتي يلبس ثياباً داخلية نيجيرية وفوقها برنس مغربي تماماً أرجواني اللون وهو ذلك اللباس الذي يلبسه المغاربة يشبه العباءة إلا أنه له في أعلاه من جهة الظهر جزء متصل به يوضع على الرأس.

وهذا اللباس المغربي الثقيل ليس مناسباً لهذه البلاد الحارة ولكنه يدل على أن المسلمين في هذه البلاد قد تلقوا الإسلام والهيئة التي ينبغي أن يكون عليها الخطيب والإمام أثناء أداء الشعائر الدينية من قوم من المغاربة أو من لهم صلة قوية بالمغاربة كالتكرور.

وقد لبس الإمام أيضاً عمامة كبيرة محنكة أي لها قسم موضوع تحت حنكه مغطياً حلقه وجزءاً من لحيته.

أقصر خطبة وصلاة :

أنهى الواعظ موعظته العجيبة التي لايلقيها إلى الناس مباشرة والتي يترتب على ذلك أن تستغرق من الوقت ضعف ما يستغرقه مثلها في العادة إذا كانت تلقى للناس مباشرة من فم الواعظ. فنهض

المؤذن وكان يرتدي الملابس النيجيرية الفضفاضة وعلى رأسه طاقية
قد أدار حولها عمامة ووضع على رأسه أيضاً (شماغاً) سعودياً
أحمر.

فأذن للجمعة أذاناً سريعاً إلا أنه كان يقول: أشهد .. ثم يسكت
حتى نظن أنه قد أصابه مكروه ثم يقول: أن لا إله الا الله. وهكذا في
الصلاة على النبي: أشهد .. ثم سكتة .. ثم: أن محمداً رسول الله.

ولم يكن لفظه فصيحاً بالنسبة إلى مانعبره نحن مقاييس للفصاحة
إذ كانت بعض الحروف لاتخرج من فمه كما تخرج من أفواهنا.

وعندما سكت سمعنا من خلفنا من بعيد رجلاً آخر يؤذن وخيل إليّ
أن هناك من بعيد أيضاً رجلاً ثالثاً يؤذن.

ثم نهض الإمام بسرعة رغم كبر سنه وألقى خطبته بالعربية كان
يقرأها من ورقة موضوعة على منصة أمامه وقد حمل معه عصا
طويلة قد تجاوزت قمة رأسه إذا اتكأ عليها.

واستغرقت هذه الخطبة وهي الأولى بالعربية وحدها حوالي دقيقتين
اثنتين وجلس فترة لاتتجاوز نصف دقيقة ثم قام وألقى الخطبة الثانية
التي لاتتجاوز مدتها دقيقة واحدة بالعربية أيضاً.

ثم أقام المؤذن للصلاة، فلما انتهى من الإقامة كبر الإمام بسرعة
وبصوت عالٍ رقيق الطبقة فبلغ المؤذن ذلك التكبير فشرع الامام
مباشرة بقراءة الفاتحة، ولم يدع دعاء الاستفتاح، ولما أتم الفاتحة لم
يرفعوا أصواتهم بالتأمين، وإنما قرأ الإمام بعدها مباشرة دون أن يكون

بين الفاتحة والسورة القصيرة التي قرأها اية سكتة. وبعدها كبر للركوع كذلك فكبر المؤذن خلفه يبلغ ولكن ما أن انتهى المؤذن من تكبيرة التبليغ حتى كبر الإمام بصوت يشبه صوته وبسرعة للسجود فكبر المؤذن خلفه وتبع ذلك مباشرة تكبير الإمام للرفع من السجود.

وهكذا حتى اشتبه علي تكبير الإمام بتكبير المؤذن المبلِّغ لولا أنني حرصت على معرفة ما أصله بنفسي لكنت لا أميز بين تكبيرة السجود وتكبيرة الرفع منه فصوتا الإمام والمبلِّغ متقاربان وهما متلاحقان حتى يكاد يلتصقان. وقد كان الأحرى بهم أن يطمئنوا في الصلاة فذلك أدعى للخشوع وأقرب إلى أن لا يختلط على المأمومين صوت الإمام بصوت المبلِّغ.

وعندما أراد الإمام أن يفرغ من الصلاة قال وهو يلتفت عن يمينه: السلام عليكم، ولم يزد على ذلك فقالوا كلهم بصوت مرتفع اهتزت له جنبات المسجد: السلام عليكم.

وانتهت بذلك هذه الصلاة الموجزة التي اجزم أنها مع خطبتيها لا تتجاوز من الوقت خمس دقائق.

وأخذوا يتحدثون بعد الصلاة وكأنهم مثل السنغاليين لم يتعودوا على صلاة النافلة الراتبة ركعتين فهم عكس الأتراك تماماً الذين كانوا يصلون بعد الجمعة ٨ ركعات من النوافل دون أن يخرج منهم أحد، أو يتحرك عن مكانه حتى يمل الغريب عنهم من ذلك. وأسرعت أسلم على المفتي الذي كان مشغولاً بالموعظة عندما سلمت على الإمام.

واسم المفتي (شيخ محمد صادق) أما الإمام فهو (الإمام الأكبر أحمد محلي عبدالله).

الترجمة غير المباشرة :

أشاروا إلي أن أسرع في البدء بالقاء الخطبة قبل أن يخرج الناس من المسجد ويتفرقوا، وذلك أن من عادتهم الانصراف بسرعة كما سبق.

فتقدمت من مكبر الصوت الذي كان قد أمسك به المبلّغ وأردت أخذه منه فتمنع قليلاً غير أنني أخذته بيدي وبدأت، ولما كان من العادة أن تترجم كلماتي جملة جملة فقد وقفت أنتظر المترجم الذي هو الشيخ مرتضى عبدالسلام نفسه وناولته المكبر بيده فلم يأخذه وإنما أشار -بلطف- إلى المبلّغ الذي انتزع مني المكبر، ولم يعده لي مرة أخرى.

فكان الشيخ مرتضى يترجم الجملة وهو على يميني فيلقيها المبلّغ بنصها أمام المكبر وهو على يساري فأنا بينهما ألقى جملة جديدة بالعربية فيبادر الشيخ مرتضى بترجمها إلى لغة اليوربا فإذا انتهى بادر المبلّغ بإعادة ماقاله الشيخ مرتضى نفسه حرفياً، وكل واحد من الاثنين يرفع صوته بالكلام من طبقة واحدة.

وقد عجبت من ذلك وحاولت بطريقة هادئة أن أجعل الشيخ مرتضى يمسك المكبر بيده ويلقي بترجمة كلامي إلى الجمهور مباشرة فلم أفلح.

لقد ذكرت هؤلاء الإخوة في كلامي برابطة الإسلام القوية التي تربط بين المسلمين وعما يجب أن يكون عليه المسلم من خلق رفيع. وأكدت على أن الإسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو دين الله الذي

بلغه رسوله ﷺ إلى الناس جميعاً فمن أخذ به سعد ونجا، وكان من اهله المقربين سواء أكان عربياً أم أعجمياً أم أبيض أم أسود. ومن تركه ضل وهلك سواء أكان عربياً أو أعجمياً أو أبيض أو أسود.

وبان السرور والاهتمام على وجوه الجمهور.

إلا أنني لم أزل مشتغل الذهن في مسألة هذا التكرار الذي لافائدة له في رأيي أمام مكبر الصوت، فسألت عنه بعد ذلك خبيراً ومقيماً في هذه البلاد منذ مدة، فقال: إن هذا نابع من الطريقة التقليدية في هذه البلاد من كون الرئيس أو الرجل الكبير لا يجيز له مقامه أن يتعامل مباشرة مع سائر الناس الذين هم من الطبقات غير العالية.

وأن العلماء في هذا الأمر يتشبهون بالأمرء بإبقائهم في مراكز التعظيم، ومن ذلك الانحناء الشديد حتى قرب السجود، والخضوع لهم، ومن ذلك هذا الذي رأيته من كون الشيخ منهم لا يسمح له مقامه الرفيع أن يخاطب عامة الناس مباشرة، بل لا بد من واسطة للحديث معهم يكون ذلك الواسطة شخصاً مقامه في النفوس دون ذلك الشيخ في المقام. بل يسمح له مقامه بمخاطبة سائر الناس.

وقد لاحظت ذلك فيما بعد من حال رؤسائهم وعلمائهم.

وهو أمر شكا منه طائفة من ذوي البصيرة من طلبة العلم وإن كانوا لا يستطيعون هم أن يتخلصوا منه لأنه هو السائد في المعاملة.

وممن شكا منه الشيخ آدم عبدالله الألوري ذكر ذلك في كتاب له أهدها إلينا عند زيارة معهده (المعهد العربي النيجيري) فكان من ذلك قوله:

لا يزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع، منها خلع النعال، والانبطاح، والسجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس، ولكنها باقية محببة إلى الأمراء والملوك والكبراء في نيجيريا إلى اليوم.

ولا يستطيع أي واعظ أن يعلن إنكار ذلك على مسمع الأمراء ومرآهم إلا إذا رضي بأن يهتكوا عرضه، أو يفتوا بكفره، أو يهدروا دمه. ثم استنزال لعنات الله والملائكة والناس على حياته أو موته، وهم يحسبون أنهم يحسنون للأدب والتواضع والإسلام صنعاً.

ومن العلماء من يستحسن تلك التقاليد عن جهالة وعماية، ومنهم من يستحسنها عن بصيرة ودراية، مما لآلة لتمادي الدهماء على تكريمهم وتمادياً مع الأمراء في كبريائهم.

وإذا ضلت العقول على علم، فماذا تقوله النصحاء لقد وجدنا من العلماء من يختلفون لهذه التقاليد حديثاً مكذوباً على النبي ﷺ وغير معروف عند أهل الحديث، هو قولهم: «عادة أهل البلاد كالسنة».

أو يقولون بتأويل الحديث «مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسنٌ» أو يذهبون إلى تأويل السجود لغير الله بأنهم لا يقصدون التقديس والعبادة، وإنما يقصدون التواضع والاحترام، ويقولون: إنما الأعمال بالنيات^(١).

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري من قبيلة يوربا من قصيدة:

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٦٠ - ١٦٢.

خَلَعَ نَعْلَ جَعْلُوهُ وَاجِباً
لَهُمْ قَبْلَ وَصُولِ الْفَنَاءِ

وَانْبِطَاحَ لَهُمْ عِنْدَ السَّلَامِ
وَبُرُوكَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ

عندما انتهيت كلمتي عدت إلى مكاني في المحراب الذي هو مرفوع عن الأرض قليلاً وفيه الامام والمفتي وطائفة قليلة من كبار القوم ورؤسائهم الذين كانوا يسلمون على الامام والمفتي وينصرفون وكان يظهر من لباسهم الفضفاض الغالي القماش في اكثر الأحيان، ومن كثرتة واحياناً يمكن القول بأنه أيضاً من (تكويمه) على الجسم أنهم من الأغنياء، أو من ذوي المقامات العالية.

وقال لي الامام وبعض الحاضرين بلسان الشيخ مرتضى عبدالسلام: لماذا لم تطل الكلام فالناس يريدون ذلك. وأنت تراهم مجتمعين في المسجد وشرفاته العالية؟

فقلت لهم: إن خير الكلام ما قل ودل، واخشى أن أحبسكم أنتم في المسجد وأنتم ربما كنتم تريدون الانصراف والله سبحانه وتعالى يقول ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١) وقد قضيت الصلاة قبل فترة.

وكان الإمام والمفتي يعرفان العربية ويتكلمان بها. وكنت ألاحظ جمهوراً ضخماً من الناس قد حضر هذه الجمعة العظيمة في هذا المسجد الكبير الحافل المؤلف من مسجد رئيسي مسقوف عالي السقف جداً في الوسط تحيط به أروقة داخلية من

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

الجهات الأربع أربع طبقات وسقفه في مستوى الطبقة الرابعة من هذه الأروقة ومن غير المؤلف لدينا أن الناس يصلون حتى في الرواق الرابع الواقع في قبلة المسجد فيصير بعضهم في مستوى متقدم على الإمام من جهة القبلة إلا أن الذي يلي المحراب مباشرة من جهة القبلة من هذه الأروقة قد جعلوه غير صالح للصلاة.

وهذه الأروقة والمسجد على سعته وجميع الساحات المكشوفة المعرضة لأشعة الشمس والبيوت المجاورة كل ذلك يمتلئ مع أطراف الشوارع القريبة من المسجد.

والحقيقة أنني لم أر خارج الحرمين الشريفين في الجمع المعتادة مثل هذا الجمع إلا في مدينة داكا عاصمة بنغلاديش.

ويقولون إن هذا المسجد أقدم وأكبر مسجد في (إبادن) وأنه قد بني هذا البناء الحالي بمساعدة من المملكة العربية السعودية أمر بها الملك فيصل رحمه الله. وأن الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام المسجد الشريف المدني قد وضع الحجر الأساسي له وقالوا: إن عدد المساجد في مدينة إبادن يبلغ ٣٢٠ مسجداً منها (٤٠) مسجداً تقام فيها الجمعة.

وخرجنا من المسجد الجامع وتجمهر الناس للسلام والمصافحة وهم من مختلف الأعمار حتى الفتيات والصبيان وكان يرافقني الحاج مرتضى عبدالسلام والأستاذ علوي آدم فكان الحاج مرتضى يمنع الناس من استمرار مصافحتي. وأنا لا أفعل ذلك بل إنني أنا أصافحهم لأنهم يريدون شيئاً يسرهم ولا يضرني بشيء بل إنه يسرني، إذ

مصافحة هؤلاء الإخوة في الاسلام والسلام عليهم أمر يهمني مثلاً
يهمهم أو أكثر.

ورأيت بعضهم ينحنون للشيخ مرتضى عبدالسلام انحناء التعظيم
المعتاد الذي يبلغ حد الجلوس في الأرض، ولم أره ينهاهم عن ذلك.

أما أنا فإن بعض الشحاذين كانوا يسألونني ويستجدون والمراققون
يمنعونهم فلا يكادون يمتنعون.

وقد تحول الفناء الخارجي المكشوف للمسجد الذي كان قد امتلأ
بالمصلين إلى ساحة بيع وشراء وعرض وطلب حيث انتهز الباعة
حضور هذا الجمع العظيم للصلاة فأخذوا يعرضون بضائعهم،
وبعضهم يفعلون ذلك وهم واقفون، وبعضهم وهم جالسون على
الأرض.

ووصلت سيارتنا في التلة المرتفعة وكان الشيخ الحاج مرتضى
عبدالسلام قد ألح عليّ في أن يأخذني بسيارته فأبيت ذلك وقلت له:
إنني أعود مع الشيخ علوي آدم الذي حضر بي فما كان من الشيخ
مرتضى إلا أن صرف سائقه وركب معنا حتى الغرفة في الفندق.

وقد مررنا في طريق العودة إلى الفندق بمسجد جميل البناء عربي
الطراز قد بني بالحجارة والإسمنت فقالوا: إن الذي بناه بهذا الشكل
الجيد رجل واحد بناه من ماله الخاص وهو الأمير صلاح الدين أمين.

وحدثونا عن ازدحام المساجد بالمصلين يوم الجمعة فقالوا: إن
مسجداً للهوسا في سايو في إبادن كان قد امتلأ بالمصلين وامتلاً
الشارع الذي يليه بهم حتى أوقفوا المرور وقد صادف ذلك مرور حاكم

ولاية إبادن وهو مسيحي فلم يستطع أو لم يرد اختراق هؤلاء المصلين في الشارع وانتظر حتى فرغوا من الصلاة.

توزيع المساعدات المالية :

لقد اتفقنا مع زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق على أن يتخلف في (لاجوس) العاصمة لانتهاء بعض أعمال الوفد بينما نحن نقوم بزيارة مدينة إبادن على أن يحجز لنا جميعاً إلى مدينة (كادونا) في الشمال ظهر غد السبت.

لذلك رأينا أن نتم توزيع المساعدات المالية على المدارس والمشروعات الإسلامية في هذا الليل ابتداء من الساعة التاسعة وإن بقي أحد يكون اعطاء نصيبه قبل التاسعة من صباح الغد وذلك جرياً على عادتنا في توزيع المساعدات أن تكون عند انتهاء زيارتنا في البلد لأن كوننا نعطي نقوداً كثيرة وربما يعلم بذلك من هم من اللصوص أو المحتالين ونبقى في البلد نفسه فيه خطر كبير.

وقد قمنا بذلك بالفعل وفقاً لما رسمناه في هذا اليوم إلا أن:

أول مطر في هذا الموسم :

منع بعض الناس من الحضور إلينا في فندق جامعة إبادن.

فقد بدأ المطر في الساعة السابعة مساءً من هذا اليوم الذي هو آخر أيام العمل في الأسبوع وغداً أول يومي العطلة ومعنى ذلك أن بعض الموظفين والعاملين في المؤسسات التعليمية وبخاصة من المنتسبين إلى جامعة إبادن قد بادروا بالحضور إلى النادي الذي يقع قرب الفندق في الجامعة، ويحظر دخوله على غير الأعضاء الذين هم من

المنتسبين للجامعة وضيوفهم من الساكنين في الفندق. وكانت هذه المطرة أول موسم الأمطار في غرب نيجيريا الذي اعتادوا على أن يقولوا إن موسمها يبدأ في آخر شهر مارس الحالي أو أول شهر إبريل. وخرجت إلى النادي أعدو فجلست في كرسي أمام الفناء الداخلي الذي فيه نافورة وجلست استمتع بمنظر تساقط المطر في الأضواء لمدة تزيد على ساعة.

بريطاني لا انكليزي :

عندما كنت جالسا في الكرسي، وقد ذهب زميلي الشيخ عبدالعزيز الربيعان لالقاء موعظة في المسجد الجامع بعد صلاة المغرب وكنت وحدي جلس على الكرسي الذي بجانب رجل أوري وطلب كأساً من الجعة لنفسه أخذ يحتسي منه على مهل ويقرأ في كتاب معه.

إلا أنه بعد فترة أراد أن يتحدث إلي فقال: هذا المطر يجعل الجو بارداً. ولما قال ذلك استنتجت منه أنه انكليزي لأن طريقة الانكليزي في استدعاء الحديث من الآخرين هو أن يتحدثوا عن الطقس لأن الطقس مهم عندهم بسبب تطرف البرد في بلادهم وتكاثر الضباب والغيوم فيها.

فسألته: أنت انكليزي؟

فأجاب: لا، أنا بريطاني.

فسألته عن الفرق عن ذلك فقال: أنا من اسكتلندا وكلمة انكليزي تعني جنساً أما كلمة بريطاني فإنها تعني جنسية أي شخصاً من

المملكة المتحدة وقال: إنه يعرف هذه البلاد من قبل، ولكن ابنته التي قدمت منذ يومين لأول مرة في حياتها دهشت لما رآته في إفريقية، ثم أضاف قائلاً: لقد تركتها في الغرفة وسوف تأتي إلى هنا.

وسألني: أدخلت إبادن؟

فقلت: نعم، فقال: أوجدت أنك لاتستطيع أن تسير فيها إلا وقد سددت أنفك من الرائحة العفنة؟

ثم قال: إنني عالم وإن لدي عملاً في قطر سأصل إليها بعد شهر فأرجو أن تعطيني نصيحة قيمة فيما ينبغي لي أن أفعله فيها.

ثم أطل الحديث وفي آخره حضرت ابنته عندما أخذ المطر يخف وإذا بها فتاة شابة في حدود السابعة عشرة، ولكنها قد لبست لباساً فاضحاً منتهزة فرصة الدفء بل الحرفي هذه البلاد عكس بلادها التي قدمت منها وحيث فقدمني إليها ثم جلست. ولم أجد أنه من اللائق أن أستمر في الجلوس معهما وهي بهذه الحالة وإلا لكنت على الأقل عرفت مشاعر فتاة أوروبية شبه مراهقة عندما وصلت إلى إفريقية لأول مرة.

وانصرفت إلى فندق الجامعة فوجدت بعض الناس قد حضروا فاعطيناهم ما كنا قررنا لهم من مساعدات مالية.

يوم السبت ٢٢/٥/١٤٠١هـ - ٢٨ مارس ١٩٨١م

أسبوع الجهاد :

هذا الأسبوع يبدأ هذا اليوم والقصد منه إلقاء محاضرات إسلامية وإقامة ندوات وحضور دعوات ومناقشات يتم فيها شرح أهداف الدين

الإسلامي ونتائج الأخذ به. ومحاولة المسيحيين ويتضمن إحصاء من دخل في الدين الإسلامي خلال الفترة التي تكون قد سبقت إقامة هذا الأسبوع ولحقت الأسبوع الذي قبله.

وكذلك قد يفعل النصارى من بيان من دخل في دينهم خلال تلك المدة وذلك في ميدان المناقشة مع المسلمين. وغالباً ما يكون الداخلون في المسيحية هم من الوثنيين. ومن أندر النادر أن يتنصر مسلم.

إلا أن إخواننا المسلمين إذا أحصوا في هذه المناسبة من دخلوا في الدين الإسلامي فإنهم يجدون في الغالب أرقاماً عجيبة وطائفة منهم يكونون من المسيحيين الذين اختاروا الدخول في الإسلام.

وقد قدمنا تبرعاً قليلاً مساهمة من المملكة في نفقات إقامة هذا الأسبوع.

والحقيقة إننا في هذا اليوم منعنا السفر من مناسبتين هامتين أولاهما حضور افتتاح هذا الأسبوع أسبوع الجهاد الذي يكون في المساء، وثانيهما: حضور اجتماع الجامع المركزي الجديد في لاجوس، وقد كانوا دعونا لحضور الاحتفال، وهو جامع هام جديد أسهمت المملكة العربية السعودية في نفقات بنائه بنصيب جيد.

ولذلك كان ضيف الشرف في حفل الافتتاح هو الأستاذ (علي محمد مختار) الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد في الرابطة، وقد قدم من مكة لهذا الغرض. وكنت حريصاً على الاجتماع به خاصة لأنه قد تقرر أن نقوم معاً بمهمة رسمية إلى كشمير في الهند في أول رجب القادم.

العودة إلى لاجوس :

والعودة إلى لاجوس معناها لنا العودة مع طريق لاجوس إلى مطار لاجوس، وليس إلى لاجوس نفسها إذ الحجز قد تم لنا ظهر هذا اليوم إلى مدينة كادونا في الشمال.

بدأنا الخروج من مدينة إبادن في الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم.

وكان الخروج مع ضواح متباعدة حتى وصلنا الطريق الرئيسي الجيد وفي تلك الضواحي التي سبقته يلاحظ المرء ما يلاحظه في معظم أنحاء مدينة إبادن من ازدحام الشوارع بالسيارات، ومن وجود المجاري على جانبي الشارع أو الزقاق الذي يمر به.

الكرامة الإنسانية المهدورة :

عندما أردت السفر إلى إبادن سألتني أحد موظفي سفارتنا في لاجوس قائلاً: هل ستلتقي بفلان؟ قلت: إنني سأسعى إلى اللقاء به.

قال: إذا لقيته فقل له: يقول لك فلان من لاجوس ينبغي أن تريحه العظام على الطريق!

فلم أفهم مايرمي إليه. ولم يوضح لي مقصده، وإنما كرر تلك العبارة.

ونسيت هذه المسئلة غير الواضحة، إلا أنني لسبب لا أذكره فطنت إليها أمس، فسألت الرجل المعنى عنها.

فقال وهو يتنهد تنهد أسف: إن ذلك غير ممكن الآن.

فسألته وأنا مشفق ألا أعرف شيئاً عن فحوى هذا اللغز؟

فقال: ذلك رجل أصيب بحادث على جانب الطريق العام. فبقيت جثته لم ترفع حتى تعفنت وتفسخت. ثم بقيت عظامه وهي التي رآها موظف السفارة، ولكنها الآن ذهبت شيئاً فشيئاً بسبب جفافها وتحطيمها بمرور السيارات عليها.

فاستفظعت هذا الأمر واستعظمته وقلت: أيمن أن يترك الإنسان مصاباً على قارعة طريق تمر به مئات السيارات في الدقيقة الواحدة؟

ولماذا لا يسعف في وقت الإسعاف وربما يكون في ذلك إنقاذ حياته، وإذا فرض أنه مات من الصدمة الأولى كيف تترك جثته ملقاة على الطريق لا يهتم بها أحد، أو لا يهتم برفعها أحد؟.

ولو وجدت في الطريق جثة حيوان كالكلب مثلاً فإنه من مقتضيات الذوق والأدب في احترام الحياة وفيما بعد الحياة أن تبعد عن الطريق إلى حيث تدفن أو تحرق.

فكيف بالآدمي؟

وسكت بين مصدق وبين مكذب.

ولكن :

في هذا الصباح رأيت وبالهول مارأيت.

لقد رأيت في مدينة إبادن الجديدة، وقبل الخروج من حدود المدينة بمسافة طويلة رجلاً مصاباً ممدداً على حافة الأسفلت الذي ليس فيه

أرصفة والسيارات المتواصلة السير تمر به ولا تبالي، وبعضها كان يتفادى إعادة دهسه بصعوبة مع أنه ليس في وسط الطريق.

وحالته الظاهرية كما تبدو لنا ونحن سائرون تدل على أنه لم يمض على إصابته وقت طويل، وربما كان به رمق من حياة. أوريما كان يمكن إسعافه إلا أن السيارات لاتلقي له اهتماماً بل ولا أن تتأنى في السير. كما لو كان مثل هذا المنظر مألوفاً لعيون سائقيها.

وسائق سيارتنا وهو نيجيري من أهل إبادن يسوق سيارة الشيخ الحاج مرتضى عبدالسلام مدير المعهد العربي النيجيري واسم السائق (علم اليقين بن محمد عالم). وقد أبى الحاج مرتضى جزاه الله خيراً إلا يرسل معنا سيارته لتوصلنا إلى مطار لاجوس.

قلت للسائق بسرعة: قف ، قف ، فقال الشيخ علوي علي آدم قبل أن يقول السائق شيئاً: إن الناس لا يوقفون كما تراهم.

فقلت له: إذا كانت قد نزعت الرحمة والإنسانية من قلوبهم أنكون مثلهم؟

فقال: إن الرحمة والإنسانية في مكانهما من قلوبهم، ولكنهم يقولون: إنهم إذا أبلغوا الشرطة عن موقعه فإنهم يوقعون أنفسهم في ورطة من التساؤل والإعاقة عن أعمالهم، أما إذا حملوه وهو مصاب فإن الأمر يكون أصعب. لأن الشرطة قد تعتقد أن الرجل لم يحمله إلا لكونه قد أصابه وأن ضميره قد أنبه على تركه.

وطبيعي أن هذه وجهة نظر لا يمكن قبولها غير أن الشيخ علوي أضاف قائلاً: أن الناس يقولون مادام أن الشرطة ترى الجثة

ولا تحركها لعدة أيام وأحياناً تتحلل وتتبدد في الطريق فإن الرجل العادي قد يجيز له تفكيره أن يتركها وشأنها.

وكانت السيارة قد قطعت في هذه الأثناء مسافة طويلة فالتفت إلى السائق (علم اليقين) أقول له بحدة: لماذا لم تقف؟ فقال: الناس كلهم لا يقفون.

قلت له: إذاً لنبلغ الشرطة، فقال: إنهم يرونه وأمثاله، وأنهم لا يريدونه أن يرفع لأنهم كانوا قد أمروا الناس ألا يقتربوا من هذه الطرق الرئيسية العامة وألا يحاولوا قطعها.

فقلت له: ولكن الرجل فيما يظهر من وضع جثته التي رأيت عليه لم يكن يحاول أن يقطع الطريق لأنه على حاشية الطريق.

وهنا كانت آلاف السيارات قد مرت بالجثة الملقاة كما مررنا بها ولم نعرها التفاتاً وربما كنا أكثر من غيرنا من المارة اهتماماً بها.

وقد بقيت مشمئز النفس طيلة ذلك النهار لهذا المنظر الذي رأيت عياناً، ولما سمعته من الأخبار عن مثل هذه الحالة البشعة حتى إنني عندما التقيت ببعض الإخوان الذين خرجوا من لاجوس إلى المطار لتوديعنا ومنهم الأستاذ عبدالعزيز الملحم الملحق الديني السعودي وأخبرتهم بهذا المشهد الفظيع قالوا: إنه أمر معروف إن لم يكن من المؤلف حتى في لاجوس وأن عبدالعزيز الملحم نفسه رأى في هذا اليوم (ولداً) مصاباً متروكاً على الطريق.

وخرجنا من باب إبادن أي البوابات التي يخرج منها إلى خارج المدينة ودفع السائق (نيرتين) اثنتين رسم الخروج كما دفع سائق

السيارة السابق رسم الخروج النيرتين لكي يسمح له باستعمال هذا الطريق الجديد.

يمكن أن نسمي هذا الطريق الجديد الجيد المتقن الذي لا يقل في ذلك عن الطرق في البلاد المتقدمة إدارياً مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بأنه مجزرة حقيقية، والذي يجزرون فيه هم بنو آدم بطبيعة الحال ولكنك فيه ترى المجزورين هي السيارات الكثيرة المتعددة الاحجام والانواع والغريب أن السائق منهم ما أن يتخلص من الارهاق والعناء من زحام لاجوس أو التوقف من سيارات إبادن الكثيرة ويجد نفسه حراً في هذا الطريق الأملس المغرى بالسير حتى يستسلم للإغراء ويطلق لسيارته العنان فتري بعضها وهي سيارات قديمة تسابق السيارات الجديدة وتري مؤشر السرعة فيها يصل إلى المائة والعشرين ويتجاوزها إلى أكثر من ذلك فيأخذك الفرع ولكن السائق لا يبالي بذلك.

وتحاول أن تسترعي انتباهه لا لتذكره بمخاطر السرعة فهو يرى بعينه بقايا السيارات المحطمة، وإنما تقول له: ارفق بنا.

ولكنه لا يستجيب بل يهز رأسه وهو طرب لهذا الانطلاق بعد الرباط. وقد رأيت عناية القوم بهذا الطريق حتى إن عمالاً كانوا يقصون الحشائش والأعشاب النامية في الجزيرة التي تفصل بين طريق الذهاب والآيب فيه، وذلك بمنجل يرمون بها بأيديهم يميناً وشمالاً وهم وقوف وكأنهم يضربون شيئاً بالعصا.

ومن الأشياء التي لفتت نظري هذا اليوم في هذا الطريق منظر
بائعات الفاكهة على جانبي الطريق في مكان بينه وبين الطريق
رصيف غير مرصوف أو كتف من أكتاف الطريق كما يسمى الآن.

وأنواع الفاكهة التي تباع هنا محدودة النوع، وربما الكم وتكاد
تقتصر على الموز والبرتقال والقريب فروت.

وهذه كلها غير رخيصة هنا.

وقد يرى المرء عشة على هيئة حانوت يبيع صاحبها فاكهة أيضاً
ولكن بصفة أكثر وأوفر.

أما المقاهي والمطاعم وأماكن الاستراحة فإنها غير موجودة إطلاقاً
والسبب في ذلك أن هذا الطريق جديد قد تجنب القرى والمدن التي
كانت على طريق سابق. وذلك من أجل عدم إعاقة المرور فيه من
جهة، ولأن استقامة الطريق تستدعي ذلك.

ولا يكاد المرء يشعر بالراحة والاستمتاع بالسير فيه حتى يزعجه
منظر سيارة محترقة أو سيارة مصدومة منذ عهد قريب. ولو كان
الأمر مقتصرًا على وجود السيارات التالفة بسبب الاصطدام المتروكة
لكونها لا تستحق من ناحية القيمة أن تصلح لما كان في الأمر غرابة
علينا وأمثالنا لأن مثل تلك السيارات أو بقاياها توجد في طرقنا
الطويلة في المملكة.

ولكنك تجد سيارات حدثت لها حوادث منذ عهد قريب، وبعضها لم
يمض عليه إلا ساعات والسائقون يرون ذلك ولا يعتبرون.

حدود الولايات :

كانت الولايات النيجيرية ثلاثاً في القديم ولكن بعد الحرب التي حدثت بسبب محاولة سكان شرقي نيجيريا من الايبو الانفصال في عن البلاد قسموا البلاد تقسيماً جديداً إلى ولايات عدة بلغت الآن تسع عشرة ولاية.

ولكن الخروج من ولاية أخرى وخصوصاً مع هذا الطريق ليس له علامات واضحة أو حدود ملموسة كما عليه الحال في الهند أو حتى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تجد على حدود الولاية لوحة ترحب بك أو تخبرك بأي شيء حتى بأنك الآن تدخل إلى ولاية كذا فقد خرجنا نحن من الولاية التي فيها مدينة إبادن إلى ولاية أخرى اسمها (اوقو) وهو اسم آله النهار من آلهة الوثنيين من قبيلة اليوربا. وعاصمة هذه الولاية ليست على الطريق.

غير أننا لم نر أي شيء يوضح أننا خرجنا من حدود ولاية ودخلنا في حدود ولاية أخرى.

والطريق على الجانبين كله أخضر وأحياناً يكون شديد الاخضرار بحيث لا تستطيع أن تعرف لون التربة إذا حاولت ذلك، وإن كانت الخضرة فيه خضرة الغابات والأراضي الاستوائية الكثيفة الأعشاب التي لا ينتفع الأهالي بها كما ينتفع أهالي الأراضي المعتدلة بأرضهم.

ولذلك سوف تدهش إذا عرفت قلة الحاصلات الزراعية منها، وقلة المواشي التي يمكن أن تربي عليها. وسوف تدهش إذا عرفت أن بعض البلاد الكثيفة الخضرة مثل جنوب نيجيريا يستورد أهله اللحم من شمال البلاد ذي الجو القريب من الصحراوي.

وقد رأيت موضعاً بجانب الطريق قد أخذ منه التراب لأمر من الأمور فإذا بالتربة فيه حمراء جميلة لا تختلف عن لون الأرض في إفريقيا الشرقية والوسطى القريبة من خط الاستواء.

وبينما كنا نسير ويسير غيرنا من الناس بسرعة فائقة قفزت إحدى السيارات من الطريق إلى خارجه وفيها ركابها ورأيت بعض السيارات تقف عندها ربما لمساعدة أهلها أو للتفرج برؤيتها.

إلى مطار لاجوس :

وفي الساعة الثانية عشرة إلّا ربعاً كنا نلج البوابة التي يدخل منها إلى مدينة لاجوس. فدفعنا الايصال الذي سلمنا بموجبه نيرتين عند الخروج من مدينة إبادن وهو رسم - كما قلت - على من يستعملون هذا الطريق الحديث.

وهم بهذا يشبهون مايعمله الأمريكيون في الولايات المتحدة إذ على من يريد أن يستعمل طريقاً غالي الثمن أو جسراً أو نفقاً أن يدفع رسماً مقابل ذلك. ولكن الرسم هنا أغلى فنيرتان تساويان أربعة دولارات إلّا ربعاً بالصرف الرسمي والمسافة بين المدينتين أو على الأدق بين بوابتي الدخول والخروج من الطريق بينهما لا تتجاوز مائة وثلاثين كيلاً.

وكان الهدف - كما قلت - هو أن نذهب إلى مطار لاجوس ولكن ذلك لن يعفينا من معاناة الزحام، والوقوف في طابور من السيارات في هذا الحر الشديد والرطوبة الزائدة التي يضاف إليها دخان (الديزل).

في المطار المحلي :

انحرفنا يميناً من الشارع العام قاصدين المطار المحلي لأن رحلتنا داخلية فكان المرور حتى في هذه الشوارع التي تعتبر خارج المدينة كثيفاً.

ولم نستطع الوقوف عند بناية المطار لأن ذلك ممنوع لكونه يزيد في الازدحام، وإنما هناك موقف للسيارات أمام البناية بينهما شارع ورصيفان وممر، وعليك أن تدفع رسماً لإيقاف السيارة فيه، كما عليك أن تحمل أمتعتك تلك المسافة الطويلة البعيدة عن المكاتب. وكان وصولنا في الثانية عشرة والرابع قبل الموعد المقرر بنصف ساعة وكانت القاعة الخارجية مزدحمة بشكل كثيف. وليس فيها تكييف وإنما فيها مراوح بعضها متعطلة وبعضها لا يكاد يتحرك وعدد الكراسي فيها محدود قد ملئت بالناس. فذهبنا إلى المقصف الذي هو غير مكيف أيضاً في هذا الحر الشديد ولكن مراوحه دائرة عامرة.

وطلبنا شاياً أو قهوة فلم نجدهما وإنما قالوا: إن فيه بعض المشروبات الباردة ومنها شراب اسمه ليمون وآخر برتقال من صنع محلي.

والواقع أن هذا المطار لا يليق بدولة كبيرة مصدرة للنفط مثل نيجيريا.

وقبل الموعد المحدد دخلنا قاعة المغادرة يصحبنا بعض المودعين من إخواننا في لاجوس منهم الأستاذ عبدالعزيز الملحم الملحق الديني وعدد من إخواننا النيجيريين.

وكانت القاعة مكيفة تكييفاً جيداً، ومليئة بالمقاعد غير أن مقاعدها مشغولة كلها، وقد انقطعت الكهرباء بعد دخولنا، وبقينا فترة دون تهوية خارجية.

إلى الطائرة :

قد لا يعجبك تخصيص عنوان خاص بهذا الموضوع الذي قد تظنه تافهاً ولكنه بالنسبة إلى كاتب هذه السطور ليس كذلك لما عاناه فيه.

لقد نادوا علينا - نحن ركاب كادونا - للخروج إلى الطائرة في الساعة الثانية والثلاث، وصفونا في طابور طويل متعرج لكي يتفادى الاقتراب من طائرة كانت بجانب طائرتنا.

وكان المفهوم أنهم فعلوا ذلك لكي يسهل عليهم إركاب المسافرين واحداً بعد الآخر. لذلك لم نلق له بالاً غير أن هذا الطابور لبث أكثر من نصف ساعة في الحر والرطوبة دون أن يتحرك وإنما كان موظفو الترحيل يصعدون إلى الطائرة وينزلون منها دون أن يبذروا عليهم أنهم يلقون بالاً لهؤلاء الواقفين الذين ملوا الوقوف. وأزعجتهم الرطوبة ودخان طائرة مجاورة كانت محركاتها دائرة تنفث دخاناً مزعجاً.

وبعد ذلك أدخلونا الطائرة، وليس فيها درجة أولى بل كل مقاعدها سياحية متقاربة حتى يكون مابين الكراسي لا يتسع للحقيبة اليدوية الكبيرة. فهم بهذا كأهل الهند الذين ليس في طائراتهم على أكثر الخطوط الداخلية درجة أولى وزادوا على ذلك بأن قاربوا بين الكراسي ابتغاء المزيد منها.

وهم هنا كأهل الهند في شيء آخر وهو استعمال الطائرة الأمريكية الصغيرة من طراز (بوينج ٧٣٧) مع أنها تمتلئ بالركاب في أكثر الحالات ومنها هذه الحالة إذ جميع مقاعد الطائرة مشغولة بدون استثناء.

ومع ذلك لبثنا نصف ساعة أخرى دون أن تتحرك الطائرة ولا أدري السبب فلم يوضحوه كما يفعل الأوروبيون وغيرهم من المتقدمين في الإدارة.

وما دمنا في المقارنة بين مستعملي الطائرات والقائمين عليها في هذه البلاد وبين غيرهم في بلدان أخرى. فإنني أذكر أنهم لا يرقمون المقاعد، لذلك ترى الناس يتراكمون ويتزاحمون ويكون الشخص الذي يحب الهدوء والأطمئنان هو الذي يكون في كرسي ربما لا يناسبه مثلي أنا إذ كان المناسب لي أن أحصل على كرسي بجانب النافذة لأنني أسلك هذا الطريق لأول مرة وأحب أن أرى معالم البلاد من الطائرة إلا أنني لم أستطع أن أزاحم الناس أو أن أركض مع الراكضين فكان نصيبي مقعداً في آخر مؤخرة الطائرة وفي الوسط من الكراسي.

فهم في هذه الناحية مثلنا إلا أننا نتفوق عليهم في ناحية أخرى وهي ما يمكن أن نسميه إنسانية الإركاب.

فمعظم شركات الطيران ومنها الطائرات السعودية تحرص على أن يكون الأقارب أو الأصدقاء من الركاب في مقاعد متجاورة لاسيما

النساء. حتى إن الموظفين يرجون من بعض الركاب الذين حصلوا على مقاعد قبل غيرهم أن يتركوها لأسرة تحب أن يجتمع أفرادها في مكان واحد. إلا أن النيجيريين لا يبالون بهذا الموضوع أصلاً فترى امرأتين صعدتا معاً فلم تجدا مكانين متجاورين فجلست كل واحدة منهما في مقعد بعيد عن الآخر بين الرجال، وكذلك الرجال.

تحركت الطائرة في الثالثة والثلث، وأعلن مكبر الصوت فيها أن الرحلة إلى كادونا ستستغرق ساعة وخمس دقائق.

وكان قائد الطائرة والذين في غرفة القيادة من الأوروبيين. أما المضيفون فكلهم من الإفريقيين وخدمتهم غير جيدة، بل غير مبالية.

وقبل الهبوط في مطار (كادونا) اضطربت الطائرة اضطراباً شديداً لا أذكر أنه حدث لي مثله الا قبل خمس سنوات كنت فيها مسافراً من مدينة تايبي عاصمة فورموزا إلى هونج كونج.

وعندما هبطت على الأرض كان الطيار يكبح جماحها كبحاً شديداً أزعج الركاب وكان أحد المضيفين يعلن الوصول بصوت أجش يصد من الأذن صدماً ويخرج الحروف الانكليزية من مخارج الحروف المحلية.

تم الجزء الأول من كتاب ... قصة سفر في نيجيريا

ويتلوه الجزء الثاني بإذن الله .

المحتويات

الموضوع	صفحة
مقدمة	٥
نيجيريا	٩
تسميتها	١١
سكان نيجيريا	١٥
أصل السكان	١٥
الايو	١٧
اللغة	١٨
تواريخ هامة متعلقة بنيجيريا	٢٥
الإسلام في نيجيريا	٢٩
الديانات الأخرى في نيجيريا	٣٢
التنصير في نيجيريا	٣٦
الوجود المسيحي في المناطق	٣٧
استراتيجيتهم الحالية	٣٧

المشاهدات

من أكرا إلى لاجوس	٤٣
في مطار لاجوس	٤٤
البحث عن فندق	٤٧
أزمة عشاء	٥٢
لاجوس	٥٦

٥٧	جولة في لاجوس
٥٩	سوليري، أو من صبر ظفر
٥٩	موشن: المدينة التي أصبحت حيًا
٦٠	الطبل والتلفاز
٦١	صحة الطلعة
٦٧	إلى الجامع المركزي
٦٨	المتحجرة الوحيدة
٦٩	اللبنانيون في نيجيريا
٧١	السقاء
٧١	في سوق شعبي
٧٣	الجامع المركزي
٧٩	مدينة أجيجي
٨١	دكان القرآن
٨١	إلى مركز التعليم الإسلامي
٨٢	مركز التعليم العربي الإسلامي
٨٦	فصاحة اليورباووين بالعربية
٨٨	صفة نادرة
٩٠	الاحتفال في المسجد
٩٤	التعليم العربي في نيجيريا بين الأمس واليوم
٩٥	تأسيس المركز وأعماله وفروعه
٩٥	المقر الرئيسي في أجيجي

٩٧	فروع المركز في نيجيريا والداهومي
٩٨	طرق التدريس
١٠٠	المواد المقررة والكتب
١٠٠	الصف الأزرق
١٠٢	العودة إلى لاجوس
١٠٢	الطعام النيجيري
١٠٤	وداع الفندق
١٠٥	إلى مدينة إبادن
١٠٧	اللحم في لاجوس
١٠٨	ركود وركود
١٠٩	لاتثق بأحد
١٠٩	الغابة أرحم من هذا
١١٢	الخروج من لاجوس
١١٤	الحوادث الكبيرة

بلاد اليوربا

١١٩	وأما بلاد اليوربا
١٢٠	قال الشيخ آدم عبدالله الألوري
١٢١	النقد والتعليق
١٢٣	أصل قبائل اليوربا
١٣٠	مدينة إبادن
١٣٠	حوانيت من الحبال

١٣١ جامعة إبادن
١٣٢ ضيوف الجامعة
١٣٣ القرآن والانجيل
١٣٤ المسجد العظيم
١٣٦ إبادن
١٣٧ تأسيس المدينة
١٣٨ جولة في مدينة إبادن
١٤٠ المدرسة الإسلامية العالية
١٤٢ مدرسة عصابة الدين
١٤٥ المعهد العربي النيجيري
١٥٠ الغرض في إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية ...
١٥٣ عيد الوثنيين
١٥٥ شمس السعود
١٥٧ المدرسة الخراشية
١٥٩ مواصلة الجولة
١٦٠ عمل فردي مجيد
١٦١ الأزهر والمنح الدراسية
١٦٣ إلى حي ماناتا
١٦٥ الغذاء في كوكودوم
١٦٨ جولة في جامعة إبادن
١٧١ جمعة إبادن

١٧٤	تشحذ لأنها ولدت توأمًا
١٧٤	في انتظار موكب الإمام
١٧٧	السيارات بين المصلين
١٧٧	موكب الإمام
١٧٩	المخاطبة غير المباشرة
١٨٠	أقصر خطبة وصلاة
١٨٣	الترجمة غير المباشرة
١٨٩	توزيع المساعدات المالية
١٨٩	أول مطر في هذا الموسم
١٩٠	بريطاني لا انكليزي
١٩١	أسبوع الجهاد
١٩٣	العودة إلى لاجوس
١٩٣	الكرامة الإنسانية المهدورة
١٩٤	ولكن
١٩٩	حدود الولايات
٢٠٠	إلى مطار لاجوس
٢٠١	في المطار المحلي
٢٠٢	إلى الطائرة



مطابع الفزوق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣